13 me Année No. 641

Lundi - 5 - 10 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤١ « القاهرة في يوم الإثنين ٣ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

بول فالـــيري

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان كاتب الخاصة ، لأنه لم يكن كاتب العامة وأشباه العامة

وهو لم يكن كاتب العامة وأشباههم ، لأن هؤلاء يطلبون السهولة في التعبير والتفكير ، وليس هو بسهل في تعبيره وتفكيره ، بل كان لا يخلو من الغموض والتعقيد ، ولا يهبط في أسلوبه عن مرتبة الجزالة والإتقان

والعامة وأشباههم يتساقون لشيء من الرعونة والهوج في بدعة من البدع أو دعوة من الدعوات ، وليس هو بصاحب رعونة أو هوج ولا بصاحب بدعة تصدع الأسماع أو دعوة تخلب العقول وتهيج الخواطر ، بل كان أكثر ما يكون موفور الجد والرصانة ، مكبوح العنان

والعامة وأشباههم ينقسمون بين المعتركات والميادين ، وليس هو من رواد المعتركات والميادين ، بل كان كريماً على نفسه وعلى صحبه مؤثراً لعزلة الفكر وعزلة المقام

ولا أحسب أن نصيراً من غلاة أنصاره يدعى له مزية الخصب والإشراق في نتاجه ، ولكني كذلك لا أحسب أن مخالفاً من مخالفيه ينكر عليه مزية المتانة والسداد في جملة آثاره من شعر ونثر ومن قصة ومقال . فهو متين شديد رصين ، وإن لم يكن باللامع ولا بالمخصب أو المرتفع في الآفاق

ذلك بول فاليري فقيد الأدب الفرنسي في أواخر هذا العام ، بعد أن فقد في أوائله رصيفه رومان رولان

* * *

والخاصة التي أعنيها هنا هي الخاصة الاجتماعية ، وليست بالخاصة الفكرية أو الفنية

وشأن هذه الخاصة الاجتماعية في فرنسا ليس بالقليل ، فهي حتى اليوم صاحبة الكلمة التي لا تجهل في نصيب القادة العسكريين والقادة الفكريين ، وفي الترشيح لرئاسة الجمهورية وللمجامع العلمية والأدبية ، وهي بقية من بقايا النبلاء على عهد الامبراطورية قد تنزوي عن الأنظار ، وقد تغض الصوت حيناً بين جلبة السواد وصيحة المغرقين في التجديد ، ولكنها رابضة أبداً في مكمنها للوثوب إذا حانت لها فرصة الوثوب ، ولعل وثبة بيتان باسم المحافظة على القديم لم تكن إلا رجعة من رجعات هؤلاء الخاصة الاجتماعيين في عاصمة الفرنسيين

هؤلاء الخاصة الاجتماعيون « سلبيون » في أكثر الأذواق والآراء ، ولم تبق لهم قدرة قوية على الإيجاب والإنجاب

فهم مثلا لا يعجبهم ما يعجب الدهماء والأوساط من الخفة والاندفاع ، وهم لا يشاركون الجماهير في أذواق البدع وبهارج

الحداثة ، وهم لا ينطلقون فى الضحك ولا فى الحزن ولا فى الغضب ولا فى الهياج إلا بمقدار ما يسمح لهم أدب الصالون وشمائل النبل والوقار

أما إنهم يرتفعون إلى الأفق الأعلى فى التفكير والتقدير فليس ذلك عندهم بمضمون ، وقد يضحون بالجمال الحى الرفيع أحياناً فى سبيل الجمال الذى توحى به التقاليد

وهذه كلها خصال ترشح « بول فاليرى » عند هذه الطبقة للقبول والظهور ، وتزيده قبولا عندها أن تعلو فى سماء الأدب الفرنسى نجوم باهرة لا تلتزم ذلك السمت الصحيح أو السمت المصنوع .

* * *

لم يقصد بول فاليرى أن يكون على شرط هذه الطبقة فى الأساليب ، ولا أن يكتب وفاقاً لمزاجها الذى تروضه على السمت أو تصطنع فيه الوقار . ولكنه لو قصد هذا لما كان أقرب إلى مزاج تلك الطبقة مما كان ، لأنه طبع على الرصانة وجاءه التعليم برفد منها يتمم ما جادت به الطبيعة عليه . فقد تعلم الرياضة ونشأ على نظام رجال البحر وقرأ الحكمة وشغف بأسلوب الأقدمين ، فجنحت به السليقة والنشأة إلى ذلك السكون ، وأصبح كاتب العلية الاجتماعية ، شاء ذلك أو أباه ، واستفاد عند غير هذه الطبقة كرامة ومحبة لا كلفة فيها ، لأنه لم يكن يخاصم أحداً على سمعة أو شهرة ، ولم يكن يبالى الخصومة إذا عرضت له معتدية عليه !

إلا أنه كان يشعر بصفاته هذه ولا ينساها حين يقيم الموازين للشعر المأثور والأدب النفيس ، فلم يكن يغفل عن شرط «الكبح» والاحتجاز فى تعريفاته الفنية ، ولم يكن يأبى الغض من مزية التدفق والإفاضة ، لأنها تلتبس أحياناً بالتفيهق والثرثرة فى غير جدوى

فإذا عرف الشعر قال : « إنه ينبغى أن يكون عيداً للذهن ، ولا ينبغى أن يكون شيئاً غير ذلك »

ولكنه يعود فيقول : « عيد أى فرح . ولكنه رصين ، ولكنه مرتب ، ولكنه ذو مغزى . أو هو صورة لغير هذه المطروقات الشائعة ، أو صورة للحالات والمساعى التى تقبل الانتظام والاتزان ... »

ولا يستثنى من ذلك الشعر الغنائى الذى هو أدنى أبواب الشعر إلى الطلاقة والجموح ، فهو عنده « هتفة » ، ولكنها متطورة أو « مشغولة » بصناعة الفنان

ويقول فى التفرقة بين الملكات الكامنة والملكات المكشوفة : « فى طبع كل منا حماقة الخطأ بين المفارقة والاكتشاف ، وبين الصورة المجازية والبرهان ، وبين سيل دافق من العبارات وينبوع يفيض بالحقائق الكبرى ، وبين ما نحسه نحن وما ينطق به لسان الغيب ... »

وقد كان مزاجه من طبيعة العزلة والانطواء فيه ، فكان لانطوائه على نفسه ينتزع من أحوالها القواعد والأحكام ، ويعطيك الشواهد على سرائره الشخصية من معظم ما كتب بعد الروية والتفكير ؛ فلا أعرف فى المحدثين كاتباً تظهر أسبابه الشخصية فى أسبابه الفكرية كما تظهر فى هذا الكاتب على التفكير

رجعت إلى بعض آثاره التى عندى بعد النعى بنعيه فقرأت منها مقاله القيم عن الإنسان الأوربى وهو من تحفه المعدودة التى يقل فيها التعقيد والغموض ، وقد بدأه بكلمة عن « الإنسان » عامة قال فيها : إنه هو المخلوق الذى ينفرد بين سائر المخلوقات ، ويعلو على سائر المخلوقات بالأحلام ، وإنه أبداً مصروف عما هو كائن بما لم يكن بعد ، أو بما يرجو أن يكون ، وإن الخلائق الأخرى تطيع التغيير الذى يطرأ عليها من خارجها ، وهو وحده يطوّع تلك العوامل المتغيرة بما توحيه إليه بواطنه وخفاياه

ثم استطرد من هذه المقدمة إلى حصر الإنسان الذى ينشئ الأحلام فى الزمن الحديث بين سكان قارة واحدة هى القارة الأوربية ، وإلى حصر المشخصات التى خلقت قوام ذلك الإنسان فى ثلاثة مراجع ، وهى رومة أو نظم الدولة الرومانية ، والمسيحية التى ورثت كل شىء من رومة لا من بيت المقدس ، ونموذج العلم النظرى الذى يتمثل فى الهندسة الإغريقية ... »

ولا يعنينا هنا أن نناقش هذه الفلسفة من جانب النقد أو جانب الوقائع التاريخية ، وإنما يعنينا أن نعقد الصلة بينها وبين مزاج الانطواء والعزلة «والتفكير الذاتى» الذى انطبع عليه بول فاليرى

فهناك بول فاليرى الذى يتغنى بالأوربية كما تتغنى بها جميع أقوام القارة التى ضاعت عليها فرصة التغنى بمجدها القومى منذ زمن بعيد أوقريب . فهم يذكرون دائماً أنهم أوربيون حين يذكر الألمان أنهم آريون ، أو يذكر الإنجليز أنهم من سلالة الإنجلوسكسون ، أو أنهم بريطان « غير قاريين »

وهناك بول ڤاليرى الذى يرجع بكل شىء فى أوربا وفى المسيحية إلى رومة لأنه جاء من أب فرنسى وأم إيطالية ، وكلاهما من عنصر اللاتين .

وهناك بول ڤاليرى الذى يجعل الهندسة الاغريقية نموذج العلم الإنسانى لأنه هو درس الهندسة واستوعب الكثير من آثار حكماء اليونان .

وهذه هى بعض دلائل المزاج التى تنطوى بين السطور ، فضلا عن دلائله التى تبدهك منه بغير تنقيب طويل .

* * *

لست أنسى خيبة الأمل التى فجأنى بها بول ڤاليرى فى أول عهدى بالمطالعة الفرنسية ؛ فإننى تعلمت الفرنسية فى السجن فاستطعت بعد أربعة أشهر أن أقرأ أناتول فرانس وبيير لوتى واندريه موروا بغير مشقة أو رجوع كثير إلى المعجمات الميسورة ؛ فخيل إلى أننى قد استغنيت عن المترجمات فى قراءة الأدباء الفرنسيين من محدثين وأقدمين . ثم جربت هذه المعرفة بعد خروجى من السجن فى اندريه جيد وبول ڤاليرى فاذا بى أرجع إلى المترجمات الإنجليزية ولا أزال أرجع إليها حتى اليوم .

وأحب أن أقول إننى أرى فى أدب « بول ڤاليرى » رأيا لا يتحرج بمرارة تلك الخيبة لأنه لم يذهلنى عن محاسنه ولم يحملنى على المبالغة فى عيوبه .

فالرجل لا شك مثل معدود من أمثلة الثقافة الفرنسية فى القرن العشرين ، وله ولا شك رأى رجيح وقول رصين وتفكير قويم ، ولكننى لا أذكر أننى اطلعت فى كلامه الذى قرأته — وهو غير كثير — على فكرة رائعة أو غوصة عميقة أو نفحة تتجاوز طاقة الأوساط من الكتاب ، فهو متين راسخ على وجه الغبراء ، ولكنه لا يحسب بين أصحاب الأوج ولا بين أصحاب الأعماق .

وله نظرات فى نقد الأدب والأدباء يقرأها القارىء فيقول صحيح صحيح ! أو جميل جميل ! ... ولكنه لايراع بها ولا يفاجأ بها ولا يخرج بها عن الجادة المطروقة إلى ممرج غير مطروق .

ومن الأمثلة الصادقة لاسلوبه فى النقد وصفه لاناتول فرانس — وقد خلفه فى المجمع الفرنسى — فقال عن كلمه الحالم « إنه كسل نجم من القراءة الواسعة التى يصعب التفريق بينها وبين الدرس والاستقصاء . أو هو كسل كراحة السائل الموقر بخبراته وبركاته يليح لك فى سكونه ببلورات على أحكم ما تكون من كمال التركيب ... »

وأنت تقرأ هذا وتقرأ أمثاله فى كلامه على الأدب والأدباء فتقول صحيح صحيح ! جميل جميل !... ولكنك لاتقف فى طريقك مرة لتقول : آه . ويح الكاتب الساحر . . ! من أين له هذا الكلام ؟

عباس محمود العقاد

ليذكر الأسبان

للأستاذ توفيق محمد الشاوى

لعل الشعب الأسبانى هو آخر شعب يحتاج إلى من يثبت له عظمة العنصر العربى وسمو الحضارة الإسلامية ، لأن وجوده ونهضته التى سبق بهما جميع الشعوب الأوربية ، وكانت رائد النهضة الأوربية الحالية هى ربيبة تلك الحضارة الإسلامية العربية التى نمت بها الأندلس زمنا طويلا ، وعاشت فى ظلها عصراً ذهبيا سجل التاريخ مفاخره برغم تداول الأيام وانتقال السلطان .

لكن أسبانيا قد انساقت فى هذا العصر فى تيار الاستعمار الأوربى ، وسيطرت على قادتها المادية الاستغلالية ، وآثرت أن تنسى التاريخ ، وأن تدفن الماضى ، وأن تشترك فى الغارة الأوربية على أجزاء الوطن العربى ، فسلم لها شركاؤها الاستعماريون جزءاً هاماً من وطننا الأفريقى فى المغرب ، سارت فيه على خطة جارتها فرنسا ، فحاولت أن تحطم القومية العربية بكل الوسائل الاستعمارية الوحشية ، غير عابئة بمبادىء الإنسانية والمدنية . علمت أن العربى لايقيم على الذل ولايصبر على الضيم ، فسول لها شياطين الاستعمار أن أسهل الطرق هو إفناء هذا الشعب الأبى العنيد ، وليقل التاريخ ماشاء بعد ذلك .

ثم جاءت النتيجة المحتومة للتكالب النفعى الأوربى ، أن انقلب الماديون على أنفسهم ، وأغرى الجشع بعضا ببعض ، فتفرقت الطبقات ، وتقابلت العصابات ، واشتعلت الحرب الأهلية الاسبانية ، فاستعان الجنرال فرانكو بعرب المغرب ، وبذل لهم وعوداً خلابة ، ومناهم بالاستقلال الذى جاهدوا له . ولم يقصر دعايته على المغرب ، فأرسل إلى رئيس المؤتمر الإسلامى الذى عقد بالقاهرة فى ذلك الحين ، الدكتور عبد الحميد سعيد ، خطاباً تاريخيا مؤيداً لوعوده وتصريحاته « بأنه عندما تثمر شجرة السلام فسيقدم للمغرب العربى منها أطيب الثمار » ... وظن العرب أن الواعد عربى يعرف معنى الشرف ، ويحترم قدسية العهود ، ونسوا أنه رجل أوربى ينسى كل شىء فى سبيل مطامعه وأهوائه . جاءه النصر بفضل مساعدة العرب وانتظر العرب والمسلمون طويلا تحقيق الوعود والعهود ، فإذا سياسة الإضطهاد تستأنف وتزيد ، وخطة الأفناء الوحشية تبدأ من جديد ، وإذا الشرف يتوارى وتحل محله « المصلحة » ، تتذبذب السياسة بين الشدة واللين بحسب ما توحيه ظروف السياسة ومصلحة الاستعمار . وآخر ما سمعناه أن أسبانيا لم تعد تطيق كلمة « العروبة » فهى تحاربها فى كل ناحية تتوهم أنها تذكيها ، حتى إن أعضاء البعثة المغربية فى جامعات مصر قد عادوا إلى بلادهم هناك ، فوجدوا أبواب السجون مفتحة لهم ، وسبل العمل موصدة فى وجوههم ؛ وكل ذنبهم أنهم عرب تعلموا فى مصر ، وأن مصر تحمل لواء العروبة وأن العروبة شجى فى حلق الاستعمار .

أيها الأسبان ! تستطيعون أن تتناسوا عهودكم ومواثيقكم التى بذلها زعيمكم وارتبطتم بها ، وتستطيعون أن تنسوا مبادىء المدنية التى تحمى حقوق الأمم وحريات الشعوب ، وأن تنسوا التاريخ وما سيكتبه عن استعماركم الوحشى الغاشم ، وأن تنسوا أيضا ما للعرب عليكم وعلى أوربا من فضل بما علموكم وبما هذبوا من نظمكم وآدابكم ... تستطيعون أن تنسوا كل هذا ، ونستطيع نحن أن نصدق أنكم نسيتموه مادمتم تتوهمون مصلحتكم فى هذا النسيان ، ولكن شيئاً واحداً لا نظنكم تستطيعون أن تنسوه ، هو قوة هذا الشعب العربى الأبى وبطولته ، واستبساله فى الدفاع عن كرامته وحريته . تذكروا أن ضربات ابن عبد الكريم لا زالت جراحها فى كل بيت من بيوتكم وكل أسرة فى بلادكم ، وتذكروا أن ابن عبد الكريم لا يزال حيا ، وإذا مات فإن الشعب الذى أنجبه لا يزال حيا قويا قادراً على استئناف جهاده وتضحياته .

أيها الأسبان ! تذكروا مرارة قتال العرب وما يكلفكم من ثمن ، وأن فرنسا التى أنقذتكم من ابن عبد الكريم قد تعجز عن انقاذكم مرة أخرى ، وأن للعالم اليوم أذنا تسمع وعينا تبصر ، فلن تسكت على وحشية الاستعمار التى تسلحتم بها لستر ضعفكم وجبنكم . تذكروا كل ذلك لا لوجه الإنسانية

والمدنية ، ولا خشية التاريخ وحكمه ، ولا حرصاً على العهد وتمسكا بالشرف ، فهذه لغة قد لا تفهمونها الآن ... ولكن اذكروه لمصلحتكم أنتم ، فإن نسيانه سيكلفكم من الضحايا عدداً لا تستطيعون تقديره ، وسيكون النصر أخيراً للحق والمدافعين عن حقوقهم وحرياتهم .

أيها الأسبان ! تذكروا أن الجشع الاستعماري الذي يسيطر عليكم ليس إلا عرضا من أعراض الكلب المادي الذي أصيبت به أوربا ، وأنكم إن لم تقضوا عليه فسيقضي عليكم ، وقد بدرت بوادر الشقاق والجنون النفسي الذي سيحطم أركان حضارتكم إن لم تنقذوا أنفسكم منه . تذكروا أن القدر قد يلقي عليكم درساً عاجلا في احترام الحقوق والحريات ، وأن هذا الدرس قد يكون على أيدي العرب ، أساتذتكم وأساتذة أوربا منذ عرفتم النور ؟

توفيق محمد الشاوي
مدرس بكلية الحقوق — جامعة فؤاد

على هامش « الحادث » :

دفاع عن الأدب

للأستاذ علي الطنطاوي

لقد كانت معركة (عين جالوت) مثلا ، أجل خطراً ، وأعظم أثراً ، وأبرك على الحضارة ، وأجدى على الإنسانية ، من موقعة (الحدث) ، ولكنها لم تجد الشاعر المارد الجبار الذي ينهض بها ، ويرفعها بيمينه يلوح بها في طريق التاريخ ، ليراها الناس أبداً ، أمة بعد أمة ، وجيلا عقب جيل ، كما صنع المتنبي بموقعة (الحدث) حين فتح لها في الشعر فتحاً ولا فتح سيف الدولة في بلاد الروم ، وبنى لها في البلاغة صرحاً ولا ما بناه الحمداني (فأعلى والقنا يقرع القنا ، وموج المنايا حوله متلاطم)، بنى هذا البيت وإنه لقلعة باقية، على حين قد خرب الدهر تلك القلعة ، فكان من معجزات الشعر (وإن في الشعر لإعجازاً) أن خلدت هذه الموقعة ، وجلت وملأت الأسماع والأفواه والقلوب ، ونسيت مواقع أعظم منها ، ولولا قصيدة ابن الحسين ما عرفت طريق الخلود .

ولقد كان فتح عمورية عظيما في الفتوح ، ولكن فتح حبيب في بائيته أعظم منه . ومن قبل خلدت بلاغة هوميروس بطولة القوم في طروادة ، ولولاه لضاعت في ظلام ما قبل التاريخ . وإني لأكرم القراء أن أسيء بهم ظني فأرى بهم حاجة إلى سرد الأمثلة ، وإقامة البينات ، على أمر ما بهم جهله ولا نكرانه ، فلولا الأدب ما خلدت المكرمات ، ولا ذكرت البطولات . ورب قصيدة تجيش بها نفس شاعر منكر مجهول ، قد شغل الناس عنه سناء الأمير ورواؤه ، أبقى على الدهر من هذا السناء وهذا الرواء . وربما جاء زمان نسي الناس فيه الأمير نفسه ، فغاص في هذا النهر البشري الذي يجري أبداً من المهد إلى اللحد ، يولد أهله ويعيشون ويموتون ولا يدري بهم أحد ولا يذكرهم إنسان — ولم يمسه من الخلود إلا النفحة التي ينفحه بها الشاعر .

هذا حق لا يجهله أحد إلا ذوي السلطان منا ، وكانوا هم أولى بمعرفته والاستفادة منه ، والأحداث تدعوهم إلى ذلك ولكنهم لا يجيبون . وها هو ذا حادث الشام القريب ، أحبوا أن يدونوا تاريخه ، ويعرفوا صوره ، ويعرفوا به البعيد النائي ، ويذكروا به القريب الرائي ، فأجمعوا أمرهم على إخراج (الكتاب الأسود) في وصف هذا الحادث ، وسموا له رجالا ، طيبين ممتازين ، غير أنهم ليسوا من ذوي الأقلام ، ولا من الأدباء ، وإن في دمشق (لو كانوا يعلمون) أقلاما حداداً ، إذا انتضتها الحكومة قطت بها وقدت وفرت ، فإلام تدخر هذه الأقلام إن لم تستل في هذا اليوم الأسود ؟ ومن يعرض على الدنيا كلها حديث (الحادث) إذا أهملت هذه الأقلام ، ونسيت وتركت تصدأ في أغمادها ؟ أيعرضه صحفي بمقالة تعيش ما عاش (العدد) الذي تنشر فيه ، أم موظف بتقرير أسلوبه لعنة للبلاغة في عليائها ؟

ثم استلمنا الجيش وعرضه رئيسنا فكان يوماً أغرّ محجلاً في عمر الشام ، فمن يمسك هذا اليوم ألاّ يهوى في وادي النسيان ؟ من يحفظ له جلاله وجماله وعظمته غير الأدباء؟ فما لأولى الأمر دعوا له كل قاص ودان إلا أهل الأدب الحق ؟ أهل البلاغة ، ما دعوهم ولا سألوا عن مكانهم ولا ذكروهم ، ولو دعوا أديباً لصنع لهم بمقالة واحدة شيئاً يبقى إذا ذهب كل هذا الذي أعدوه .

وفي كل يوم تنبت أقلام غضة فلا يتعهدها أحد بسقي ولا رعاية فتجف وتموت . وتحطم عواصف الأيام وأرزاؤها أقلاما متينة كأشجار السنديان طالما أظلت وسقت فلا يبكي عليها أحد . وتزهر أقلام ثم تؤتي أكلها ثمراً ناضجا حلواً نافعا فلا يستبشر بها أحد ، ويقولون بعد ذلك لماذا لا ينتج الأدباء ؟ لماذا لا يخلدون أيام الوطن ؟ يا ويحكم ! إننا والله لا نعرف أيام الوطن إلا على السماع ، والفضل لنا إذا استطعنا أن نكتب عنها سطراً واحداً .

قال لي أديب أعرفه بليغا مبينا له قلم ماضي السنان :

« لقد أردت أن أدخل القلعة غداة يوم الحادث ، وأن أجول خلال الحرائق ، وألج البرلمان ، فمنعني جنود لا يعرفونني ولا يفهمون عني بلساني ، ولو تركت ألج ورأيت بعيني ما أصفه الآن على السماع لكتبت لكم شيئا يبكي المحب ليلة الوصال ، والعروس ليلة الزفاف ، ويرقق قلب الموتور ساعة الانتقام . ولو أشهدت هذا العرض لكتبت لكم قصيدة مجد تكون للأعصاب ناراً تشعلها حماسة ، وللقلوب خمراً تميلها طربا ، ولهذا الجيش جيشا آخر . ولو أحضرت حفلة رفع العلم على الثكنة الحميدية لكتبت غير ما كان نشر في الرسالة(١) ، لأن الذي يتخيل ويكتب بارد الدم هادئ الأعصاب ، غير الذي تمشي الكهرباء في أعصابه فتهزها هزاً ، فيمسك قلمه ويدع روحه تملي عليه .

ولست — علم الله — أريد مالاً من أولى الأمر أو عطاء ، ولا أبتغي من مجالستهم شرفاً ، فعندي من المال ما يسد حاجتي ، ومن الشرف ما يكفيني ، وإنما آسف على قوة فيّ ، وفي أمثالي من حملة الأقلام ، تذهب هدراً ، وتضمحل ، والوطن يحتاج إليها ، وهي تستطيع أن تكسبه مجداً لا ينال بغيرها » ... انتهى كلامه .

* * *

فيا أيها الحاكمون! اذكروا أنكم تحتاجون إلى الأدباء ليكسبوكم الخلود ، وليفيضوا على أمجادكم الحياة ، أما هم فلا يحتاجون إليكم ، لأنهم يستطيعون أن يخلقوا بأدبهم ملوكا وأبطالا ، وينشئوا عالماً ، ويقيموا لأنفسهم وللناس دنيا ، إن تكن من الوهم ، فرب وهم أفعل في نفس صاحبه من الحقيقة ، وأثبت من الواقع . ورب شخص (روائي) خرج من خيال أديب ، أحيا حياة ، وأظهر وجوداً من أشخاص اللحم والدم ، أسمعتم بمطيل ودون جوان وآرباجون ؟

وبعد فهذا دفاع عن الأدب ، لا عن الأدباء ، فاقبلوه أو لا تقبلوه ، إنما علينا أن نقول ، وقد قلنا .

علي الطنطاوي

(١) بعنوان (دموع ودموع) العدد ٦٣٤ .

اللغة العربية

الأستاذ وليم مارسيه
رئيس المعهد العالي للدراسات التونسية

كان لجزيرة العرب في شعرها الجاهلي أدب من هذا النوع الذي نسميه كلاسيكياً ، وذلك منذ القرن السادس المسيحي ، في عصر لم تكن كبريات لغاتنا العصرية قد تجلت فيه بعد خصائصها. وإنما أعني بالأدب الكلاسيكي مجموعة من الآثار الأدبية تبدو لك معبرة عن قصد سام بعينه ، وعن موقف خاص من مشكلة الحياة ومصير الإنسان ، وعن ضرب من الشعور والفهم في لغة أحاطت بها كل العناية لوضع صناعة دقيقة راقية تامة الشروط . وكان أصحاب تلك القصائد القديمة ينطقون أحياناً بالحكم ؛ لكنهم قليلا ما كانوا يفكرون التفكير المنطقي أو يستنتجون ، بل تميل نفوسهم إلى الفوران مع شرارات متتابعة من الصور الخيالية والأمثال ، ومن صيحات الحب أو الغضب التي امتزج فيها اللطف بالقساوة واقترن العطف بالعنف ، وإنما يجري تنسيق الألفاظ فيها طبق نظرية خاصة للجمال الفني يعتبر الإيجاز من أهم قواعدها . وأسمى غايات الشاعر أن يكون لكل بيت من أبياته من التفوق في إيجاز العبارة ومتانتها ما يجعل قوله تسير به الركبان فيصبح كالمثل عند قومه والناطقين بلغته ، ومع ذلك فلم تكن تلك القصائد الشبيهة في قوة طابعها بضرب النقود خالية من بعض الغموض ؛ إذ لكل لغة سرها الخاص بها . بفضله لا يخلو شعرُها من هذه الميزة والطابع الخاص ...

أما في العربية ، فللعبارة من المتانة ما لا يبقى معه شيء يحجب مصدرها عن الناطق بها أو المستمع إليها ، وبذلك كان اللفظ في اللغة العربية يذكرك بالأرومة التي اشتق منها . ولعل هذا الشعور العميق بالمصدر يفوق شعورك باللفظ عينه

فالعبارة العربية إذن كالمزهر ، إذا نقرت أحد أوتاره رنت لديك كل الأوتار ، وخفقت وهي تبعث في نفسك زيادة عما لها من صدى خاص ، جميع الأصداء الخفية لكل ما ينتسب إليها من مفردات أو يلتحق بها ، ثم تحرك في أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر موكباً من العواطف والصور . وإذا نحن نظرنا إلى العربية من حيث الصناعة أدركنا في غير عناء أن سبك اللغة العربية فيه للشعر ومادته كنوز زاخرة لا تحصى وموارد ، فلقد كان نشوء هذه اللغة وتطورها مبنياً في أعظم قسط من مفرداتها على التداول بين المقاطيع المقصورة والمقاطيع الممدودة

وإذن يجوز لنا القول بأن اللغة العربية ذات تقاطيع شعرية في ذاتها ، فلا غرابة إذن أن يكون واضع علم النحو هو الذي ضبط تلك المقاطيع . أما الأوزان والتفاعيل الشعرية ، فإنها مؤلفة من مجموعة متأثرة بالصيغ الصرفية . وإن لهذا الاستمداد الشعري العظيم آثاره القوية في توجيه الآداب العربية ، فالرأي الغالب عند جميع الناطقين بالضاد في سائر العصور أن الأدب شعر قبل كل شيء . لذلك كان مؤرخو الآداب العربية ونقادها يقتصرون من آثارها على فن الشعر أو يكادون ، فلئن كان قدامة قد أطلق على أحد كتبه اسم « نقد النثر » ، فهو على ذلك لم يعالج في ثلاثة أرباعه غير الشعر . وهل الجاحظ قد روى معظم كلامه الذي استشهد به في كتاب « البيان والتبيين » إلا عن الشعراء أو عن إخوانهم الخطباء ؟ وإذا كان بديع الزمان قد تردد في الإذعان لما للجاحظ من فضل في الميدان الأدبي ، فما ذلك كما قال ، إلا لأن الجاحظ وإن كان ناثراً بارعاً لم يكن إلا شويعراً ، وإذن فمن الواضح أن الذي لم تكن له الأسبقية في صناعة الشعر ليس على حسب نظرية بديع الزمان برجل الأدب حقاً . وعلى ذلك فقد أحرز النثر في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام مكانه اللائق به ، ووافق ظهوره — مثل ما هو الشأن عند سائر الأمم — ما حصل من تقدم في التفكير وطرائق البحث في المواضيع العلمية .

وفي الواقع كان أهل صناعة التفكير المنطقي الاستنتاجي والفقهاء والمشرعون على اختلاف مذاهبهم ، هم الذين سبقوا غيرهم من الكتاب بتطور النثر على أيديهم . ويحكى أن « بلزاك » كان يحمل نفسه على مطالعة كتاب « القانون المدني » ، فيراه على أسلوب لا يجارى في الوضوح والاقتصاد والدقة . ولا أظنني مخطئاً إن قلت : إن عدداً لا يستهان به من رجال الشرع الإسلامي وأئمة الدين كانوا في عدد كبار الكتاب . ألا نجد مثالا من ذلك عند الجاحظ ، وهو أكبر كتاب القرن الثالث الهجري بلا منازع ؟

فليس من شك أن الجاحظ كان قبل كل شيء من رجالات الفقه الإسلامي ، فلقد انصرف فيما لا يقل عن نصف تآليفه إلى البحوث الدينية . وهل ينكر أحد أن كتاب « الحيوان » ، وهو أكبر تصانيف الجاحظ ، خاضع في جملته لشئون توحيدية ، إذ كان مصنفه يريد أن يستخلص من درس الطبيعة وبالخصوص من النظر في شؤون الحيوان ما يقوم حجة ناهضة لتأييد مذهب الاعتزال .

ومهما يكن من الأمر ، فلا مندوحة من الاعتراف بأنه قد تكون في القرن الثالث للهجرة نثر عربي يتصف بغزارة المادة وتنوع الأسلوب ، صالح للرواية وللجدال النظري معاً ، قادر على تتبع الفكرة والالتصاق بها في كل منعرجاتها ، وعلى أداء جميع دقائق المعنى . ولم تمض مائة سنة حتى زال هذا اللون من النثر العربي المتصف بانتقاء اللفظ واختياره وبانسجام عدد النغمات ، وقام مقامه النثر المسجع .

وفي الحقيقة لم يكن هذا النوع من النثر المسجوع زائراً جديداً في اللغة العربية ، بل كان عندها أسلوباً قديماً مألوفاً يرجع عهدها به إلى العصر الذي كان النثر فيه خطابياً أو شفاهياً على أقل تقدير إذ كان موجهاً في الحقيقة إلى السمع لا إلى النظر .

ويظهر أن هذا اللون من النثر المسجع قد قطع ثلاثة القرون الأولى من الإسلام يحيا حياة فاترة محدودة النطاق ، فلم يكن يستعمله إلا نفر قليل من الدعاة ، ولا تجد له من وراء ذلك أثراً إلا السجعة أو السجعتين يضيفها مشاهير الكتاب إلى جملهم المرسلة

فإذا ما حل القرن الرابع للهجرة أصبح هذا اللون من النثر هو الغالب وطغى على غيره وعم . وإذا به مستعمل في مواضيع من الأدب وأبواب لم يكن قد طرقها من قبل ، بل هو يمتد إلى ما وراء المواضيع ويقتحم إلى ما أبعد من الأبواب فيصبح متصرفاً في كامل الآداب النثرية أياً كان لونها ومهما كان غرضها سواء أكانت من آداب الخيال والقريحة ، أم من آداب التراسل ، أو من كتب الأخلاق ، أو من آداب الدواوين ، أو في المواضيع التاريخية ...

ولعل السبب في هذا التغلب القاهر راجع إلى ما كان مشهوراً في سائر الأوساط الأدبية من تفوق الشعر على النثر . وكان نثر ابن قتيبة ، وقد ظهر منبسطاً منسجم المفردات مرسلا ينظر إليه عند المولعين بفن الشعر كما ينظر إلى فتاة الأسطورة الفرنسية « ساندريون » ، فقد كانت تفوق أخواتها وأترابها جمالا وذكاء نفس ؛ إلا أن بساطة أخلاقها وتواضعها كانا يظهرانها في مظهر الفقر والخصاصة فكانت لذلك منبوذة . وقد بدا للمغرمين بالشعر أن هذا النثر المنبسط المرسل في حاجة إلى زينة وحلي ، وهكذا جملوه نثراً مسجعاً

ومع ذلك ، فإنه يجمل بنا ألا نشدد الحكم على النثر المسجوع فهو الذي أمد العربية بعدد من جواهرها الأدبية ، وهو الذي أكسبها آثاراً فيها من جودة الصناعة ودقة النقش ما يجعلها مثالا تطبيقياً لقاعدة الفن المطلق الخالص ، أو ما يعرف عندهم بالفن للفن ... ولا يمكن مع ذلك نكران العراقيل الخطيرة التي انجرت من هذا النثر للعبارة الصحيحة الكاملة الموفية بحق المعنى بالقياس للنثر وجوهره . ولا يمكن أن نغفل عما كان لهذا النثر من سيء الأثر على الأسلوب ، فلقد جر له الفقر وحمل الكتاب على الاقتصار من أساليب الكتابة على الجمل القصيرة من شتات السجع ، فأفضى بعدد منهم إلى التضحية بالمعاني واللب في سبيل العناية بالشكل والأسلوب .

ولكن هذا النوع من النثر قد انقضى اليوم عصره وزال سلطانه . فلقد عادت الحرية المطلقة إلى النثر بفضل نهضة الآداب العربية التي بدأت منذ ثلاثة أرباع قرن تقريباً

وفي هذا الباب ذكر بعضهم مراراً عديدة ما للتأثيرات الأجنبية من فضل على هذه النهضة سواء من حيث الأسلوب وفن التعبير ، أو من حيث تجديد اللون الأدبي في ذاته ، واختيار المواضيع ، وهي عوامل لا يمكن نكرانها ، ولكنها لم تكن لتؤثر لو لم تصادف رغبة دفينة في الانبعاث ، وشوقاً إلى إحياء تراث عظيم قد وقف سيره : تراث القرنين الثاني والثالث من الهجرة . ذلك أن البشر والشعوب لا يقبلون من التأثيرات والعوامل في باب العبقرية إلا ما كان ملائماً للخلاصة الخالصة من عقليتهم مسايراً لما لها من حركة وتوثب . وباختصار لا يقتبس الناس من غيرهم ولا الشعوب من بعضها إلا ما كان حياً في قرارة أنفسهم متوثباً للوجود

٢ — الزندقـــة
فى عهد المهدي العباسى

« أيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله »

(من وصية إبراهيم الامام العباسى لأبى مسلم الخراسانى)

للأستاذ محمد خليفه التونسى

عرضنا فى المقال الماضى (الرسالة : العدد ٦٣٧) عرضا موجزا يسيرا ما كان من موقف الأمويين إزاء مخالفيهم فى الرأى والسياسة ،وعارضناه بموقف مؤسسى الدولة العباسية إزاء مخالفيهم فى الرأى والسياسة ، وبينا وجوه الخلاف بين الموقفين ، كما أوضحنا موقف هؤلاء وأولئك من العرب والفرس وما كان من اطمئنان الأمويين إلى العرب وحـذر الآخرين من العرب والفرس معا وضرب كلا العنصريين بالآخر لسوء ظنهم بهما معا ، وأوضحنا أن النعرة الفارسية ظهرت منذ فتح العرب فارس فى عهد عمر الذى لم يكن قتله إلا مؤامرة فارسية لـكيد العـرب ، وما كان من خوف تسلط الفرس على مؤسسى الدولة العباسية فدفعهم إلى الإفراط فى الاتهام والقتل لمجرد الشبهة ، وما كان من طموح الفرس إلى الاستقلال وتطلع أبى مسلم إلى السلطان حتى قتله المنصور ، وسوء ظن العباسيين حتى بوزرائهم وقتل كثير منهم مما أدى بخالد بن برمك إلى كراهة أن يسمى وزيرا تطيرا من القتل كما قتل قبله أبو سلمة الخلال ، وما كان من إسراف العباسيين فى الحجر على الحرية الفكرية خوفا على دولتهم من الانهيار ، وأن المنصور كان يحجر على حرية الرأى فى كل ما يمس الحكومة ونظمها ليس غير حتى ليحاسب الناس على ما فى ضمائرهم ويعاجل بالقتل كل خارج عليه ، بل كل من كان وجوده خطرا عليه ولو لم يكن يستحق القتل وما كان من عدم مراعاته فى ذلك حدود الدين ولا قواعد العرف العربى ولا العهود التى قطعها على نفسه . وقلنا فى ختام المقال: «فلما جاء ابنه المهدى سنة ١٥٨ هـ كانت الخلافة قد استتبت له فلم يكن يخشى ما خشى والده من الفتن على الدولة ولـكن عهده لم يكن خاليا من فتن ذات طابع خاص يميزها من الفتن التى قامت فى عهد أبيه ، وقد جملته هـذه الفتن يتجه إلى الحجر على الحرية الفكرية فى عهده ولا سيما الزندقة ؛ إذ كانت الزندقة طابع هذه الفتن وعنوانها ، وهذا ما جمله دقيق الإحساس من ناحيتها ، كلفاً بمعاقبة من يتهمون بها إن صدقا وإن كذبا ، جادا فى البحث عن أتباعها فى كل مكان ، فإذا وجدهم حاسبهم حتى على ما فى ضمائرهم وعاقبهم بالظنة كأبيه ، ولو لم يجد من أعمالهم ولا أقوالهم مستندا للتهمة فضـلا عن مبرر للتعذيب والقتل ، أما فيما عدا الزندقة فـكان المهدى حياله سمحا كريما ، ولذلك تفصيل سيأتى بيـانه إن شاء الله » .

ولتفصيل ذلك لا بد من بيان الحوادث التى حملت المهدى على تشدده فى عقاب الزنادقة ، وبيان صفاته النفسية والفكرية التى جعلته يتخذ أسلوباً خاصاً فى النظر إلى هذه الزندقة وهؤلاء الزنادقة . ولا بد من عرض بعض المحاكمات التى جرت بينه وبين كبار الزنادقة والتهم التى وجهت إليهم أثناءها حتى قضى فيها بالقتل أو بغيره . ولا بد لنا مع هذا كله من أن ننظر نظرة ربط إلى أمرين مترابطين بوجودهما هما الزندقة والشعوبية أو الوطنية الفارسية إذ لا حيلة لنا فى فهم

وها هو ذا اليوم النثر العربى قد تهذبت حواشيه واتضحت آياته وتم تجديده على أيدى الجيلين الأخيرين من الـكتاب ، وبفضل ما بذله هؤلاء من جهود متواصلة ، وما صبروا عليه من جد وعمل ، فأصبح هذا النثر أهلا لأن يكون أداة تعبير لحضارة عصرية . وبلغ هذا المستوى من الرقى الذى به يتم تأليف الآثار الفنية الخالدة . وإنما نعنى بالآثار الفنية الخالدة آثاراً لها من قوة السبك ومن الامتلاء بالحقائق البشرية ما لا تنال منه الترجمة إلى اللغات الأجنبية أو تذهب به ؛ «فدون كيشوت» لمؤلفه «سرفانتاس» وكتاب « الحرب والسلم » لـ « تلوستوى » ، وكتاب « كيم » لـ « روديارد كبلنغ » كلها كتب قد حافظت فى نصوصها الفرنسية على أوفر قسط من جمالها وروعتها

وإنى أؤمل بكل قوة أن يأتى اليوم الذى يوجد فيه تصنيف لمؤلف عربى من المعاصرين ينقل إلى اللغات الأوربية فيقيم لأبناء الغرب الدليل على أن أبناء عدنان وقحطان قادرون مرة أخرى على تنمية كنز الفكر البشرى

[عن نشرة الدراسات العربية بالجزائر. ترجمة الزيا] **وليم مارسيه**

الزندقة فهما صحيحا ما لم ننظر إليها مرتبطة بهـذه الشعوبية الفارسية التى كانت السبب الأهم فيما قام فى فارس من ثورات على الخلفاء من العرب أو حروب استقلالية ، فلم تـكن تلك الفورات المتتابعة إلا لطلب استقلال الفرس الذى انتزعه العـرب منهم ، ومحاولة التخلص من السيطرة العربية ولا سيما بعـد أن زاد الاضطهاد ورأى الفرس بأعينهم أنهم قادرون على هزيمة العرب بما جرى بين الفريقين من وقائع انتصر فيها الفرس على العرب ومنها المعارك التى كانت بين الجيوش الخراسانية وجيوش الأمويين وانتصار الأولين وهم فرس على الآخرين وهم عرب، ولقد كان ما كان من ضياع أمل الفرس فى العباسيين بعد أن مكنوا لهم دولتهم ، وجحودهم الذى ظهر فى قتـل المنصور أبا مسلم ، وإخماده ثورة تلميذه سنباذ الذى ثار للمطالبة بثأره حين ثار عليه فى سنة ١٣٧ هـ وهى سنة مقتله[١] ، وما كان من قمع المنصور الراوندية حـين خرجوا عليه لقتله فى الهاشمية سنة ١٤١ هـ وقد كانوا على رأى أبى مسلم فى زعمـه تناسخ الأرواح ، وادعوا أن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية أحـد ولاته هو جبريل[٢] ، ولا بد لنا من النظر بعد ذلك فى عقائد فارس المانوية والمزدكية لفهم الآراء التى كانت تتوج هذه الفتن ولا سيما فتنتى الزندقة المحمرة والمبيضة فى عهد المهدى ، وتحديد معنى الزندقة كما تآراها المهدى والمانى الآخر التى كانت ذائعة فى ذلك العصر لـكلمة الزندقة وكانت تطلق على كثير ومع ذلك ظـلوا بعيدين عن العقاب بل ظلوا فى كنف الدولة يهالون خيراتها ويحتمون بها بل يلون ولاياتها من الخلفاء ويقودون جيوشها مع الثقة والتقدير، ولا بد من الإشارة إلى دسائس البلاط ومكايد السياسة والتنافس بين رجال البلاط وما كان لـكل ذلك من الخطر فى إشاعة التهمة بالزندقة والعقاب عليها على ما سنفصله إن شاء الله .

ونـكتفى فى القول فى ثورات الزنادقة بعرض موجز لأخطر

(١) الطـبرى ج ٩ س ١٦٩ ، وابن الأثـير ج ٥ س ١٩٥ ، والخضرى س ٥٦ — ٦٠ ، ودائرة المعارف الاسلامية : المادة : أبو مسلم وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١٠ ص ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

(١) الطبرى ج ٩ س ٧٣ — ١٧٥ ، وابن الأثير ج ٥ س ٢٠٣ والخضرى س ٧٥ .

ثورتين ظهرتا فى عهدى المهدى : إحداهما ثورة الزنادقة المبيضة فى خراسان وقـد ظلت نحو عامين[١] وثانيتهما ثورة الزنادقة المحمرة بعدها وقد تم إخمادها بسرعة ويسر ، فقد كانت هاتان الثورتان هما اللتين وجهتا نظر المهدى إلى الزندقة وجهة خاصـة وصبغتا عهده بها صبغة خاصة مما لم يكن له قبله مثيل . وها نحن أولاء نلخص أخبارها مما كتب كل من الطبرى وابن الأثير فى تاريخه : ظل المنصور يدبر ملـكه قرابة أثنتين وعشرين سنة[٢] (١٣٦ — ١٥٨ هـ) وقد توفى فى يوم السبت سادس ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ ببئر ميمون محرما وهو يقوم بشعائر الحج[٣] وقـد تولى الخلافة بعده ابنه المهدى ولم تمض بضعة أشهر من سنة ١٥٩ هـ أو من خلافة المهدى حتى فوجىء بثورة عوان فى خراسان هى ثورة الزنادقة المبيضة فاضطرب لها ملـكه وزلزل زلزالا شديدا[٤] . ذلك أنه خرج فى خراسان فى هذه السنة (١٥٩ هـ) رجل من الفرس يسمى هاشم بن حكيم وهو المعروف فى التـاريخ بالمقنع الخراسانى لأنه كان يضع على وجهه قناعا من الذهب ليخفى به دمامة وجهه ولم تـكن ثورته كثورة غـيره انتقاضا على الدولة لاستبدال خلافة بخلافة أو الثأر لقبيلة من قبيلة أو نصر جيل على

(١) لم أجد من جعلها غير ذلك وإن اختلف فى وقتها فهو عـند الطبرى من سنة ١٦١ إلى ١٦٣ وعند ابن الأثير من ١٥٩ إلى ١٦١ هـ وعند حسن خليفه فى كتابه : الدولة العباسية من ١٥٨ إلي ١٦٠ هـ .

(٢) الطبرى ج ٩ س ٢٩٣ ، وابن الأثير ج ٦ س٦ ، والخضرى س ٨٥ ، وتاريخ بغداد ج ١ س ٦٥

(٣) الطبري ج ٩ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ ، وابن الأثير ج ٦ ص ٦ ، والخضرى ص ٨٥ ، والأستـاذ حسن خليفه : الدولة العباسية ـ قيامها وسقوطها (الطبعة الأولى) .

(٤) يبدأ الطبرى بذكر هذه الثورة فى أخبار سنة ١٦١ هـ وينتهى بذكرها فى أخبـار سنة ١٦٣ هـ (الطبرى ج ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٤٣) ويبدأ ابن الأثير بذكرها فى أخبار سنة ١٦ هـ (ابن الأثير ج ٦ ص ١٤ ١٨ ، ١٩) وقد سكت الخضرى عن توقيتها عند كلامه فيها (الخضرى ص ٨٨) ويذهب الأستاذ حسن خليفة فى كتابه (الدولة العبا ية ص ٥٤) إلى أنها كانت بين سنتى ١٥٨ و ١٦٠ هـ ، وقد رجحت رأى ابن الأثير على رأى الطبرى لأن المهدى بدأ بالعقاب على الزندقة فى أوائل سنة ١٦٠ ورجحته على رأى الأستاذ حسن خليفة لأن المهدى تولى الخلافة فى ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ ، ولم يذكر الأستاذ مصدره الذى نقل عنه هذا التوقيت ، ولهذا كان التسليم برأى ابن الأثير أسلم وأوفق للوقائع بين المهدي والزنادقة حتى كارواها الطبرى والخضري وابن الأثير نفسه

جيل[1] بالقوة فحسب ، بل كانت إلى جانب محاولة التخلص من الحكم العربى لفارس ثورة ذات آراء خاصة فى الدين والكون : كانت نزعة عنصرية فارسية بدليل أنهما قامت فى خراسان ، والقائمين بها من الفرس ، وكانت ترمى لأخذ الثأر من الخليفة والعرب جميعا : فقد كان المقنع يقول بتناسخ الأرواح وأن روح الله ظهرت فى آدم ثم انتقلت إلى نوح وهكذا إلى أبى مسلم[2] ثم المقنع نفسه ، فهو إذن يدعى الربوبية لنفسه[3] ، وهـذا ما لم يزعمه ثائر قبله لنفسه ، ومن أجل ذلك كانت ثورته ذات طابع خاص يميزها من الثورات التى تقدمتها وإن اتفقت معها فى كثير من الغايات . ومن أجل ذلك أيضا كان من الحـزم والفطنة أن ينظر إليها الخليفة المهـدى نظرة خاصـة تمتاز عن نظراته إلى الخارجين عليه من طلاب الملك والمغانم وغيرهم .

نهض المقنع يدعو من حوله إلى الإيمان بربوبيته والأخـذ بتعاليمه فى خراسـان وما وراء النهر فاستغوى بشرا كثيرا من الصغد وبخارى وسمرقند وأتراك بحر قزوين، وامتد نفوذه فى تلك البقاع النـائية ونبه أمره ، وكان أتباعه يسجدون له من أى النواحى كانوا ، وكانوا يقولون فى الحـرب : « ياهاشم أعنا » وتحصنوا فى قلعة بسيام وسنجردة وهى من رساتيق كش فيما وراء النهر[4] ، وأعانه كفار الأتراك فأغاروا على المسلمين ، وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبى عليه السلام ، ويدعى أنه يقتل قاتليه ، واجتمع مع من والوه بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نواكث وحاربهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر من ولاة المهدى فى إقليم خراسان وما وراء النهر مرة بعد مرة فلم ينالوا منهم شيئا ، وقتلوا حسان بن تميم ومحمد بن نصر وغيرهما من الولاة . وعندئذ لاح الخطر على الدولة للمهدى فعبأ جيوشه ووجه بها إلى المقنع يقودها أبرع قواده فعجزوا عن إخضاعه : ومن هؤلاء معاذ بن مسلم واليه على خراسان ومعه عقبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وأخوه يزيد وليث بن نصر بن سيار مولى المهدى . ولقد اشتغل هؤلاء بقتال المقنع وزنادقته المبيضة الذين كانوا ببخارى فقاتلوهم أربعة أشهر فى مدينة بومجكث ونقبوها عليهم وقتلوا منهم سبعمائة ، ولكن منهزميهم لحقوا بالمقنع فكانوا له قوة ، ولقد تبعهم جبرئيل بن يحيى بعد أربعة أشهر فى القتال بلا جدوى . وكان ممن سيرهم المهدى إلى المقنع قائده أبوعون فلم يبالغ فى قتاله . واستمرت الحرب بين جيوش المهدى وجيوش المقنع نحو سنتين حتى عيل صبر المهدى ولقى المسلمون منه بلاء عظيما ، وكان المهدى أثناءهما يبعث بقواده على جيوشه مجتمعين، وفى نهاية الأمر أرسل معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر وعلى مقدمته سعيد الحرشى ، وأتاه عقبة بن مسلم من زم فاجتمع به بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع ، وأتى معاذ بعد سعيد يحاربهم ، ولكن كل أولئك لم ينزل الهزيمة الساحقة بالمقنع وجيوشه . وجرت فى نهاية الأمر جفوة بين القائدين سعيد الحرشى ومعاذ بن مسلم فكتب سعيد إلى المهدى يقع فى معاذ ويضمن له أن يكفيه المقنع إن أفرده بالقيادة فأجابه المهدى إلى ما طلب ، فبدأ يطارد المقنع ويضيق عليه ويحاصره وإذ ذاك شعر المقنع بالخطر فبـدأ يجمع الأقوات والأسلحة عدة للحصار ، ولـكن سعيداً ضيق عليه الحصار حتى أيأسه من النصر والحياة والمقنع محصور فى قلعة كش ، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساءه وأهله فمات وماتوا جميعا ، ودخل المسلمون قلعته واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدى وهو بحلب .

ولقد عرف المقنع الخراسانى هاشم بن حكيم وأتباعه بالزنادقة المبيضة لأنهم اتخذوا اللباس الأبيض شعارا لهم[1] .

---

(١) الجيل هو الأمة فيقال الجيل العربى والجيل الفارسي بمعنى الأمة العربية والأمة الفارسية ، وليس معناه العصر

(٢) يلاحظ فى هذه السلسلة ظهور اسم أبي مسلم وهو فارسى ، ويلاحظ معه ما كان من مطا مه وقتل المنصور إياه ، فهذه الثورة كان المقصود منها التخلص من الحكم العربى ، والثأر لأبى مسلم

(٣) ذلك يدل على أن من أغراضها خلع الاسلام .

(٤) المراد به نهر جيحون أو أموداريا ، وكان هناك إقليم من أقاليم الدولة الاسلامية منذ ظهور العباسيين يسمى إقليم المشرق ، قسم منه شرق نهر جيحون ويسمي ما وراء النهر (بالنسبة لعاصمة الدولة : دمشق أو الهاشمية أو الكوفة أو بغداد أو هيطل) ، والثانى غربى جيحون ويسمى خراسان

(١) الطبرى ج ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، وابن الأثير ج ٦ ص ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ومحاضرات الخضرى بك ص ٨٨ وحسن خليفه فى كتابه : الدولة العباسية ـ قيامها وسقوطها ص ٥٤ — ٥٥ .

هذه هي الصدمة الأولى من صدمات الزنادقة التي أصابت الدولة العباسية في عهد المهدي فاضطربت لها دولته جميعا وتتابعت لها الزحوف إثر الزحوف نحو سنتين حتى أخمدتها بعد لأي شديد وإسراف كثير في الأرواح والأموال ، ولم يكن المهدي قبل ذلك إلا عالما أقوى العلم بخطر إقليم المشرق فمنه انبعثت الجيوش الخراسانية التي دكت الملكة الأموية دكا ، وأسلمت الخلافة للعباسيين ، وما كان المهدي ليجهل خطر الفرس وما أنزل بهم العرب من بلاء طوال مدة بقائهم في الأقاليم الفارسية ، ولا حقد الفرس على العرب وتربصهم بهم الدوائر ، وما كان من قتل أبي مسلم ومطامعه وثورة تلميذه وتابعه سنباذ ثم ثورة الراوندية ، وما كان ليجهل الدوافع القريبة والبعيدة التي أثارت هذه الفتن؛ ولم يكن ينقصه سوء الظن والدهاء وقد كان الأمران من أهم الأركان في سياسة الدولة العباسية منذ عهد السفاح بل قبله إلى عهده هو (المهدي)[1]

أما الثورة الثانية فقد جاءت إثر الأولى بعام واحد تقريبا[2] وإن لم تبلغ من القوة ما بلغت الأولى ولم تكلف المهدي من الأموال والأرواح والمتاعب ما كلفته تلك : قامت هذه الثورة في المشرق أيضا (وهكذا المشرق دائما) في ولاية جرجان شرقي بحر قزوين ، وكان القائمون بها يعرفون بالزنادقة المحمرة لأنهم اتخذوا اللباس الأحمر شعارهم ، ولا خلاف بين الطبري وابن الأثير في أن هذه الثورة كانت سنة ١٦٢ هـ[3] ، بل تكاد كلماتهما تتحد في الرواية . قال ابن الأثير في أخبار سنة ١٦٢ «وفيها خرجت المحمرة بجرجان عليهم رجل اسمه عبد القهار فغلب عليها وقتل بشرا كثيرا فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان فقتله عمر وأصحابه[4]»

(١) راجع مقالنا الأول في الرسالة — العدد ٦٣٧ وعنوانه (الزندقة في عهد المهدي العباسي) .

(٢) و (٣) الطبري جـ ٩ ص ٢٤٢ ، وابن الأثير جـ ٦ ص ٢١ . وقد ذكر كلا المؤرخين هذه الثورة في أخبار سنة ١٦٢ هـ ، ولكن يلاحظ أن الطبري — كما تقدم — يذكر أن ثورة الزنادقة المبيضة بدأت سنة ١٦١ هـ وانتهت سنة ١٦٣ هـ فعنده أن ثورة الزنادقة المحمرة قامت أثناء قيام ثورة الزنادقة المبيضة ، ويلاحظ أن ابن الأثير يذكر — كما تقدم — أن ثورة الزنادقة المبيضة بدأت سنة ١٥٩ هـ وانتهت سنة ١٦١ فعنده أن ثورة الزنادقة المحمرة بدأت بعد ثورتهم بسنة واحدة تقريبا ، وذلك ما أخذنا به ، لأنه لا مفر لنا منه بعد أن رجحنا فيما سبق رأي ابن الأثير على رأي الطبري في توقيت الثورة فجعلنا مبدأها سنة ١٥٩ هـ ونهايتها سنة ١٦١ كما رأى ابن الأثير

(٤) ابن الأثير جـ ٦ ص ٢١ .

وقد انتشرت تعاليم طوائف الزنادقة بين الناس فيما وراء النهر وخراسان والولايات الفارسية الغربية والشمالية ، وتسربت أيضا إلى العراق ، وكانت تعاليمها مزيجا من فلسفة ماني واشتراكية مزدك كما سنفصله إن شاء الله ، فهب علماء المسلمين ممن اشتغلوا بعلم الكلام يردون على هذه التعاليم . ولقد كان لتعاليم الزنادقة بعدئذ وقبلئذ أثر عظيم في نظريات علم الكلام واتجاهاته بل اتجاه الفكر الإسلامي كله حينذاك وفي أقوال الشعراء الفرس ، حتى لا نستطيع أن نفهم بعض مذاهب المتكلمين وأقوال بعض الشعراء وبعض اتجاهات الفكر الإسلامي بل كلها في ذلك العصر إلا إذا درسنا حركة الزندقة . ولا حيلة لنا كما قدمنا في فهم معنى الزندقة بل معانيها المختلفة مالم ندرس حركة الشعوبية التي ظهرت كما قدمنا منذ وطئت أقدام العرب أرض فارس في عهد عمر بن الخطاب ولم تظهر في غيرها من البلاد التي فتحها المسلمون كمصر واليمن والشام وبلاد المغرب وموعدنا بذلك المقال التالي إن شاء الله .

محمد خليفة التونسي

تصويب :

في مقالنا الأول (الزندقة في عهد المهدي العباسي) المنشور بعدد الرسالة ٦٣٧ وقع خطأ في إسم أبي سلمة حفص الخلال فكتب في صفحة ١٠١٣ أبو حفص سلمة الخلال ، وفي صفحة ١٠١٤ أبو سلمة وصوابه — كما قلنا — أبو سلمة حفص الخلال كما يفهم من الأبيات التي نقلناها هناك ، ومنها :

شرب الكأس بعد حفص سليما ن ودارت عليه كف المدير

الشباب الخالد

توطئة دراسات في الأدب والنقد

للأستاذ جورج سلستي

ليس شباب العمر ما أعنى ، وعمر الشباب كعمر الورود سرعان ما تبلوه الحياة بالأعاصير فيذوى !

ولا الربيع — شباب الطبيعة — وهو ما إن يرود رونقه النضر حتى تصوّحه لافحات السمائم !

ولا شباب الدول ذوات الحول والطول وهو مهما يطل لابد له أن يدول ! فالخريف كامن فى أعقاب هذه جميعاً وإنما ثمة شباب لا يدركه خريف : شـــباب لا يعروه الهَرَم ولا يدبُّ إليه وَهَن الكبير .

شباب غيسانى ، أبدى السنى والرواء ، دائم الوضاءة والحسن ، يعدو الزمن العصيب فما يطاوله بحدثانه ، ويدور الدهر الخريب فما يديل من ريعانه !

شباب يزدرى بسطوة العفاء ، ويهزأ بعاديات الفناء ، لأنه ينبض أبداً بمضاء القوة وعزة الحياة وزهو الخلود !

شباب شاخت الدول وباد منها ما باد ولم تدل دولته . واندرست جلائل المعالم كما عفت روائع الآثار وهو أبداً ريّق الصبا يطاول بعزته السماء ويتحدّى بخلوده الأزل !

ذلكم الشباب المؤبد هو شباب الفن الرفيع ، شباب الأدب : يَهرَمُ الكون وهو غضٌّ وتبلى جدَّةُ الدهر ، وهو زاهٍ نضيرٌ ، وليس كالأدب ما يتخطى هامات الأجيال بأبهةٍ وجلال ، محتفظاً بسحره الأخاذ وروعته القدسية . وإن العلم ليتبدّل من حال إلى حال ، بل إن من نظرياته ما انقلب رأساً على عقب بتقدم العصر وارتقاء الفكر ، وإن ما كان يحسب فيه حقيقة ثابتة لا مراء فيها فى جيل ، نقضه الجيل الذى تلاه . وقد ينقض العلم غداً ما يبرمه العلماء اليوم ، فى حين أن نفثات هوراس وهوميروس وفرجيل ودانتى وملتون والمعرى وشكسبير وأترابهم من الشعراء والأدباء الأفذاذ لتجد فيها النفوس فى اليوم الحاضر ما وجدته من قبل نفوس الأمس البعيد الغابر من متعة ولذة وأنس ، ولسوف تتناقلها الأفواه فى مؤتنف الأيام كما كانت تتناقلها الألسن فى سالفات الأعوام ، ولسوف يظل يتلو الناس آيات الشعر والأدب ما دام فيهم من تستهويه لفتات الخاطر المشبوب ، وومضات الذهن المتوقد ، وعذوبة المنطق المعسول ، وستنشد أهازيج الهوى التى تغنى بها سليمان الحكيم كما تتلى غزليات ابن المعتز ووجدانيات ابن زيدون ؛ وإن العالم ليستمتع بها — على قِدم العهد — كما يستمتع بروائع دى موسه ، وبدائع لامرتين ، وطرائف الأخطل الصغير ، وستبقى أبداً نزهة الأرواح ومتعة النفوس ما دام للناس قلوب تخفق ، وأكباد تحن ، ومُهَج تتشوّق .

وتقدير الأدب ليس بالبدعة المستحدثة فى التاريخ ، فقد عرف الأقدمون له جلال القدر ورفعة المنزلة فبوّأوه حرمات التقديس . ومن البداءة المأثورة أن العرب فى الجاهلية كتبت على القباطى بماء الذهب مختاراتها من روائع الشعر الحى وعلقتها بالكعبة تقديراً لها وتعظيما .

وإن الأغريق قد كتبوا بالذهب على جدران معبد أثينا فى لندوس القصيدة العصماء التى قالها بندار زعيم الشعر الغنائى فى مدح دياجوراس[1]

وهل كان الملوك والأمراء يبذلون المال والهبات على الشعراء الأفذاذ بمثل ذيالك السخاء العظيم لولا طمعهم فى خلود الذكر فى القصائد الرنانة التى كانت على ألسنة الناس كالمثل الشرود ؟ !

وإنها والله لصفقة خاسرة للشعر أن تشترى روائعه الخالدات بمتاع منفوق .

يروى التاريخ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال لبعض أولاد سنان ممدوح زهير بن أبى سلمى :

« أنشدنى بعض مدائح زهير فى أبيك » فأنشده . فقال عمر : « إنه كان ليحسن فيكم القول » فقال ابن سنان : « ونحن كنا نجزل له العطاء » . فقال عمر قوله المأثور الخالد : « قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم ! » .

ألا طيب الله ثراك يا أمير المؤمنين وكرّم مثواك . فقد زكيت

(١) تاريخ الأدب العربى للأستاذ الزيات نقلا عن لاروس .

الفن الرفيع بشهاداتك الخالصة التي أدبتها لوجه الحق مختارا . فشتان بين ما يذهب كالزبد جفاء، وما يمكث في الأرض ويبقى ما كرّ الجديدان .

وبعد . فسرّ خلود الأدب قائم في كونه رسائل الأرواح في جلاء الحق والحب والخير والجمال، ومرآة تتجلى فيها سرائر النفوس ونزعات الأهواء ، فهو لذلك من خصائص كل أمة في كل جيل رهفت في بنيها الأحاسيس وذكت الخواطر، وسمت الأرواح . وإن نفس كل امرىء لتظل تهفو إلى الأدب الماتع والفن الرائع ما دامت طليقة من إسار المادة وجشع الأثرة وعبودية الروح .

وما ركود الأدب في عهد من عهود التاريخ إلا دليل على فقدان القيم الروحية لدى أبناء ذلك العهد المشؤوم . وما ازدهار الأدب في حقبة من الحقب إلا دليل الشعور بالكرامة ، وصقل النفس ، ورهف الحس ، وسمو الروح والتقرب من بلوغ الكمال . فإن أعوز المصلح أن يتعرف إلى مقدار التهذيب عند شعب من الشعوب ؛ وأين هو من كرم الخلق فليسبر مدى تشوق بنيه للأدب الرفيع ؛ فقد كان الأدب الرفيع وسيبقى أبد الدهر مقياس الرقي عند الأفراد والأمم على السواء .

ولئن كانت النفوس تنزع بطبيعتها للشرور وتميل للغرور فإن الفنون — على أنواعها — كفيلة بالتلطيف من حدة النزوات وقمينة بتنمية الفضائل ، وإن الأدب من الفنون بنوع خاص يصقل النفوس ، ويرهف منها الأحاسيس ويحبب إليها الشهامة والإباء والعزة والنبل .

ولقد كان الخلفاء في الإسلام كما كان الملوك والأمراء في الجاهلية يوصون الآباء بتثقيف البنين الشعر والأدب لتسمو أخلاقهم وتدمث طباعهم . وقد بلغ من إعجاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب « بلامية العرب » للشنفرى الشاعر العدّاء المشهور أن قال :

« علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلم مكارم الأخلاق » .

وقال أيضاً رضي الله عنه :

« تعلّموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى » .

ولله درّ من قال :

وما هو إلا القول يسري فتغتدي ... له غُرَرٌ في أوجه ومواسمُ
ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بناةُ المعالي كيف تُبنى المكارمُ

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

« الأدب حلي في الغنى ، كنز عند الحاجة ، عون على المروءة ، مؤنس في الوحدة ، تعمر به القلوب الواهية وتنفذ به الأبصار الكليلة ويدرك به الطالبون ما يحاولون » .

وقال معاوية بن أبي سفيان :

« اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فما حملتني على الإقامة ليلة الهدير بصفين وأنا أريد الهرب لشدة البلوى إلا أبيات عمرو بن الأطنابة التي يقول فيها :

أبت لي همتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صحيح

وهل الأمجاد لولا الأدب الحي إلا أطلال ؟

فلقد مرت بتاريخ البشرية عصور يذكر فيها الفاتح واللعنة في أثر اسمه على الأفواه ، والحاكم الداهية وبسمة الامتعاض والاشمئزاز تعلو الثغور ، والسياسي الأريب وأمارات النفور تبدو على الأسارير ، وذلك لأن أمجاد هؤلاء جميعاً لم تقم إلا على الدم المطلول أو الوعد المطول أو العرض المبذول ، ولقد دالت هاتيك الأمجاد ولم يبق إلا مجد الأدب . ألا رحم الله ابن الرومي القائل :

« أرى الشعر يحيي الناس والمجد بالذي ... تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر إلا معاهد ... وما الناس إلا أعظم نخرات »

تلكم هي منزلة الأدب في النفوس ومكانته في القلوب ، وذلكم أثره البعيد في الناس .

فلا غرو إذن أن يخلد على الدهر ولا بدع أن يسلم على الزمن ! وكيف لا يظل غض الإهاب بيان يستروح فيه الناس أعراف الجنة وأنسام الخلد ، ويرون فيه ربيعاً سرمدياً منضر الجنبات ، منور الحواشي ؛ بيان سمح ينفس عن القلب المكروب ، ويروح عن الفكر المجهود ، ويمتع النفس اللاغبة ، ويسمو بالروح من حضيض الغبراء إلى ذرى الجوزاء، ويحلق بها في دنيا غير الدنيا وعالم غير هذا العالم . دنيا زاخرة بأطياف الأماني الغر والأحلام الوضاء . وعالم رحب الأجواء ، نير الرؤى ، رخي النفحات ، عباق النسمات

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

- ٢ -

(ز) الصيارون ، اللصوص ، الجرمون

وكان الصيارون واللصوص وقطاع الطريق يودعون السجن [١] وقد سجن المأمون نفراً منهم كبيراً . وقتل آخرين [٢] ، وذكر ابن المعتز أن إسحق بن خلف ، وكان أحد الشطار الذين يحملون السكاكين قتل غلاماً فحبس بذلك ؛ فما فارق الحبس حتى مات [٣] .

(١) آدم متز : ج ٢ ص ١٦٥

(٢) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٧٨ .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٣٨ .

وذكر ابن الجوزي أن المعتمد حبس ثلاثة من الجند لأنهم سرقوا [١] . وأنه وجدت في خلافة المطيع امرأة قد سرقت صبياً ، فشوته في تنور وهو حي ، وأكلت بعضه ، وأقرت بذلك ، وذكرت أن شدة الجوع حملتها على ذلك . فحبست مدة ، ثم ضربت عنقها [٢] .

وكان الأطباء الذين يقلطون فيودون بحياة الناس يحبسون . فقد حبس الطبيب النصراني خصيب لأنه سقى محمد بن أبي العباس السفاح شربة دواء فمرض منها ومات وبقي في حبسه حتى مات [٣] .

(ط) المتدر ، الضحك ، الغناء

وقد يسجن الإنسان لأسباب حقيرة لا شأن لها . فتحدثنا كتب الأدب أن أبا العتاهية سجن مرة لأنه قال :

(١) المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ١٢٤

(٢) « « ج ٦ ص ٣١٧

(٣) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ص ١٤٨

بالأرج المحيي والشذى المطار .

وهل الدنيا إلا صحراء لاهبة واحتها المخضلة هبات الفن السامي ونتاج العبقرية الخلاقة ؟!

وهل العيش لولا تلكم النفثات العذارى التي يطرف العالم بها أرباب الفن وعباقرة الأدب إلا الشقاء الجرور ، والعناء الفادح والوصب الممض ؟!

كان الحسن البصري يقول ما مؤداه :

الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس الأدباء ومساجلات العلماء ومطارحات الشعراء .

ألا قدس الله سرك يا حسن ، يا مجتلي النور في البيان السمح والمنطق المعسول .

« اسمعوا أيها الناس وعوا » على حد تعبير خطيب العرب وحكيمها وحكمها قس بن ساعدة الأيادي .

إنما الأدب عصارة القرائح وفيه تتجلى خلاصة الثقافات ، وإنه لمستودع الحكمة والحكمة يا كرام الناس كرسالات الأنبياء ومن وحي السماء وما توحيه السماء لا يموت . وهل تعوزكم الأدلة والبينات وبين أيديكم الكتب المنزلة تهتفون بآياتها الساحرة آناء الليل وأطراف النهار ؟

تلك الآيات التي تخشع عند تلاوتها النفوس خشعة الإكبار والإجلال والتقدير لهيمنتها على المشاعر واستحواذها على العقول والألباب حتى لكأنها السحر ، بل إنها لكذلك وإن من البيان لسحراً .

سبحان رب العرش وتعالت كلمتك . ما كان قولك الحق ليحتاج إلى الأيمان البالغة تؤيده لولا أن في الناس أدعياء مارقين كالوليد بن المغيرة ينكرون نعمتك ويكذبون آياتك ويقولون عنها ضلة وزيفاً « إنها أساطير الأولين » فأقسمت — وبالرهبة القسم العظيم « ن، والقلم وما يسطرون » . تثبيتاً لبيانك الخالد وتنويهاً بالقلم وبأربابه رافعي علم حكمتك السامية بين الناس . وحكمتك هي الحق اليقين التي بها يهتدون .

أشهد اللهم أنك أنت الشاعر الأعظم ، وأن أنبياءك المرسلين الأطهار أئمة الشعراء والأدباء أجمعين .

وأشهد أن للفن شباباً غضيراً يتحير في قسماته النورانية ماء الخلود .

(بيروت) جورج سلستي

ألا إن ظبياً للخليفة صادنى ... ومالى عن ظبي الخليفة من عذر[١]

وسجن مرة ثانية لأن الرشيد أمره أن يتغزل وهو معه فى الرقة ، فأبى[٢] وكان معه إبراهيم الموصلى ؛ وكان قد أمره أن يغنى ، وقد مات الهادى فأبى أيضاً ، فحبسه وقال: لايخرجان حتى يغنى هذا ويشعر ذاك[٣] .

ويذكر الشابشتى صاحب كتاب الديارات خبراً يدعو إلى العجب والإعجاب فى آن معاً . قال : خرج إسحاق بن إبراهيم من عند المأمون ، حتى إذا صار إلى الدهليز الثانى وقف ، ووقف القواد والناس لوقوفه . ثم قال : أين خليفة على بن صالح ؟ وكان على ذلك الوقت صاحب أمر الدار والمرسوم بالحجبة . فأتى خليفته فضربه مائة مقرعة . ثم قال : الحبس . ثم قال : هاتوا خليفة صاحب البريد ، فأتى به ، فضرب مائة مقرعة . ثم قال : الحبس. ثم دعا بعلى بن صالح ، وبصاحب البريد ، وقال لهما : تقلدان خلافتكما فى دار الخلافة من يضيع الأمور ويهملها ... كنتما بهذا الأدب أحق من هذين ! فقالا : وما كان من أمرهما الذى أنكرته أيها الامير ؟ قال : صاحب بريد ، يقعد فى دار الخلافة فيضحك ويقهقه ، وصاحب الدار جالس لاينكر ... ! »[٤] .

وفى جميع هذه الأسباب ذكرت كتب الأدب أخباراً أخرى أخذنا منها ما يقوم به الدليل على ما ذهبنا إليه ، ولم نعمد إلى التطويل .

أنواع السجون

نستدل مما اطلعنا عليه من النصوص أنه كان فى بغداد أنواع متنوعة من السجون . فهناك المطبق وهو حبس مظلم كبير ، كان المنصور قد بناه بين طريق البصرة وطريق باب الكوفة . وباسمه سمى الشارع الذى يقع هذا السجن فيه . وكان متين البناء قوى الأساس . وبقى أهم سجون بغداد حتى عهد المتوكل »[٥] . وكان فيها سجن آخر عند باب الشام ، إذا ذكروه قالوا : السجن الذى عند باب الشام وكان يهاجم دائماً . وكان عليه عثمان بن نهيك ، وقتل فى فتنة الراوندية[١] فلما كان زمن المعتصم أمر أن يبنى حبس فى بستان موسى ، كان القيم به مسروراً مولى الرشيد . يقول التنوخى « وكان هذا البناء يرى من دجلة إذا ركبها المرء وكان كالبئر العظيمة ، قد حفرت إلى الماء أو قريب منه ، وفيها بناء على هيئة المنارة مجوف من باطنه ، وله من داخله مدرج قد جعل فى مواضع من التدريج مستراحات ، وفى كل مستراح شبيه بالبيت ، يجلس فيه رجل واحد ، كأنه على مقداره ، يكون فيه مكبوباً على وجهه ، وليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله[٢] » .

ثم بنوا سجناً آخر سموه السجن الجديد . وكان موضعه إقطاعاً لعبد الله بن مالك[٣] وبقى حتى جاء معز الدولة فهدم سوره سنة ٣٥٠ ، ونقل آجره إلى داره وبنى به[٤] ، وفى سنة ٣٥٥ كتب إلى طاهر بن موسى أن يبنى موضع الحبس المعروف بالجديد مارستاناً[٥] .

ولا نستطيع وصف مافيها على التفصيل ؛ وإنما نعلم أنها كانت ذات أقسام ، فحبس للزنادقة ، وحبس للعوام ، وحبس للنساء ، و ...

وكان فى المطبق الغرف الواسعات والضيقة . وكان فيه الآبار يسجن فيها . حدث يعقوب بن داود وزير المهدى قال حبسنى المهدى ، وذلك فى المطبق . فدليت بحبل فى بئر مظلمة لاأرى فيها الضوء[٦] قد بنيت عليها قبة ، فكنت فيها خمس عشرة سنة[٧] .

وربما سجنوا فى أماكن ومحال أخرى . فقد سجن سليمان ابن وهب فى كنيف قال : فأخذنى اسحق (بن ابراهيم ، صاحب الشرطة) وحبسنى فى كنيف ، وأغلق على خمسة أبواب . فكنت لا أعرف الليل من النهار[٨] ، وسجن المحسن بن أبى الحسن بن الفرات فى كنيف داخل الحجرة ، ودلوا فى بئره رأسه

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٦
(٢)و(٣) الأغانى : ص ٤ ، ٥ ج ٥
(٤) الديارات للشابشتى (مخطوط) : دير مديان .
(٥) بغداد فى عهد الخلافة العباسية : لسترانج ص ٣٤ .

(١) ابن خلدون : ج ٣ ص ١٨٦
(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخى ج ١ ص ١١٩
(٣) تاريخ بغداد للخطيب ص ٨٧
(٤) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ٢
(٥) المصدر السابق ج ٨ ص ٣٣
(٦) الفخرى ص ٢٢١
(٧) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤١
(٨) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤

بعد أن قيد وألبس جبة صوف غمست بالنفط[١] . وربما سجنوا فى الحجر الضيقة المظلمة ، حدث أبو الحسن بن أبى الطاهر قال : قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب فى وزارته للقاهر بالله ، على أبى وعلىّ معاً فحبسنا فى حجرة من دار ضيقة ، وأجلسنا على التراب[٢] .

وكان الحبس الذى سجن فيه المهدى إبراهيم الموصلى مكاناً شبيهاً بالقبر مملوءاً بالأفاعى والبق[٣] . ولما سير المنصور جماعة من أبناء على إلى الكوفة حبسوا فى سرداب تحت الأرض ، لا يفرقون فيه بين ضياء النهار أو سواد الليل[٤] .

وربما سجنوا فى دار منفردة ، كما فعلوا بأبى العتاهية لما طلب إليه الرشيد أن يتغزل فأبى ومنعوا دخول من يريد إليه .

ويذكر ابن الجوزى أن القاهر بنى المطامير ليحبس الجند فيها[٥]

* * *

وأناس آخرون كانوا لا يسجنون فى هذه المحال . فقد كانوا يحبسون من يخافون عليه عند الوزراء . كما سجن عبد الملك بن صالح عند الفضل بن الربيع لما غضب الرشيد عليه[٦] ، وكما سجن ابراهيم بن المهدى بعد القبض عليه وقبل العفو عنه ، عند أحمد ابن أبى خالد[٧] . وربما أودعوا عند من يثق الخليفة به ، كما فعل الرشيد عند ما سجن موسى بن جعفر بدار السندى بن شاهك[٨] .

وكانوا يتخذون قصور الخلفاء سجوناً فى بعض الأحايين . فقد حبس المستعين بن المعتصم ، المعتز والمؤيد ابنى المتوكل فى حجرة من حجرات الجوسق الكبير[٩] . ويقول استرانج إن الخلفاء « اتخذوا دار الشجرة التى شيدها المقتدر ، حبساً رسمياً ، وضعوا فيه أقرب أقربائهم احتياطاً من أعمالهم . وجعلوا فى خدمتهم عدداً من الغلمان والخدم ، وجهزوه تجهيزاً تاماً بوسائل الرفاهية والنعيم ، ومنعوهم من تخطى أسواره[١] .

ويذكر ابن الجوزى أن القاهر حبس فى دار السلطان مدة إحدى عشرة سنة ، من (٣٢٢—٣٣٣) ، ثم أخرج إلى دار ابن طاهر ، فكان يحبس تارة ويخلى تارة[٢] .

ومنذ القرن الرابع أخذوا يسجنون عند القهرمانات . فقد سجن ابن الفرات عند زيدان القهرمانة[٣] ، وسلم إليها أيضاً الامير الحسين بن حمدان ، والوزير على بن عيسى[٤] .

(١) تاريخ الوزراء للصابىء : ص ٢٤٣
(٢) الفرج بعد الشدة : ج ١ ص ٥٢
(٣) الأغانى : ج ٥ ص ٥
(٤) مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٠٠
(٥) المنتظم لابن الجوزى ج ٦ ص ٢٦٤
(٦) الطبرى حوادث سنة ١٨٧ ج ١١
(٧) تاريخ بغداد لابن طيفور : ص ١٨٥
(٨) الفخرى لابن طباطبا : ٢٢٣
(٩) الطبرى حوادث سنة ٢٤٨

فى السجن

لا نعلم الكثير من أحوال السجناء فى بدء العصر العباسى ؛ على أننا نورد لك ما كتبه أبو يوسف للرشيد عن المساجين لنصور لك ما كانوا عليه . فقد طلب أبو يوسف أن يؤمر بالتقدير لهم ما يقوتهم فى طعامهم وأدمهم ؛ وأن يصيّر ذلك دراهم تجرى عليهم ، وتدفع فى كل شهر إليهم « فإنك إن أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوّام والجلاوزة . وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح يثبت أسماء من فى السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكون الأسماء عنده ، ويدفع ذلك إليهم شهراً بشهر . يقعد ويدعو باسم رجل رجل ، ويكون الإجراء عشرة دراهم فى الشهر لكل واحد ، وليس كل من فى السجن يحتاج أن يجرى عليه » . ثم طلب أن تكون كسوتهم فى الشتاء قيصاً وكساء ، وفى الصيف قيصاً وإزاراً ، وأن يجرى على النساء مثل ذلك ، وهذا يدلنا على سجن النساء ، وكسوتهن فى الشتاء قيص ومقنعة وكساء ، وفى الصيف قيص وإزار ومقنعة .

(يتبع) صلاح الدين المنجد

(١) بغداد فى عهد الخلافة العباسية : استرانج : ص ٢٢٠
(٢) المنتظم ج ٦ ص ٢٦٥
(٣) كتاب الوزراء للصابى ص ١٠٥
(٤) آدم متز ج ١ ص ٢٤٣ نقلا عن العيون والحدائق (مخطوط) ص ١٨٥ . برلين رقم ٩٤٩١

العالم الجديد

للأستاذ زكريا إبراهيم

عصرنا الحاضر عصر مضطرب ثائر ، لا نكاد نجد له مثيلا في التاريخ الغابر . فنحن نواجه اليوم حالة لم تعرفها الأجيال الماضية لأننا نحيا في عالم جديد يعج بالمشاكل المعقدة والمسائل الصعبة . وهذه الحالة التي تفرضها علينا مقتضيات هذا العصر ، هي وليدة التطور الذي لحق الحضارة الإنسانية الحديثة . فليس من شك في أن علينا أن نكيف أنفسنا مع العالم المتغير الذي نحيا فيه ؛ على ضوء المعارف التي نحصلها من الحركة العلمية المستمرة . والمعرفة هي — وحدها — التي استطاعت أن تغير معالم الكون ، فلابد لنا إذن أن نعتمد على المعرفة ، حتى نستطيع أن نحقق التوافق بيننا وبين البيئة الجديدة التي نعيش فيها .

غير أن الخوف قد يقف حائلا دون مواجهة الموقف الحاضر في صراحة وقوة ؛ فإننا نخشى أن تقتادنا النظرة الجديدة للكون إلى الخروج عن معتقداتنا المألوفة وأفكارنا السابقة ، ولكن هذا الخوف نفسه دليل قوي على أننا نشك في صحة تلك الأفكار والمعتقدات ، ومن ثم فإننا نخشى أن نفحصها على ضوء الحقائق الجديدة والمعارف الحديثة . وإذن فالخوف ليس إلا مظهراً للشك والجهالة ، وبالتالي فإن من واجبنا أن نطرحه جانباً إذا أردنا أن نكون مخلصين لروح العصر .

لقد أصبحت الشجاعة أول ضرورة من ضرورات هذا العصر فإن قيام العالم الجديد رهن بما أوتينا من شجاعة وقوة وإقدام . وليس من واجب المفكر أن يرتد فزعاً أمام تلك التيارات الرجعية التي قد تثور في وجهه ، بل إن عليه أن يجهز بكلتا يديه على تلك الجيف الحية ، لكي يقذف بها في زوايا التاريخ !

وإنها لمسئولية خطيرة تلك التي تقع على عاتقنا اليوم ؛ فقد مضى ذلك العصر الذي كنا فيه نعتمد على القوى المجهولة والمصادر الخفية في استقاء معارفنا ومعلوماتنا . وليس علينا الآن إلا أن نعتمد على نفوسنا ونفكر لذواتنا ، في كل المسائل التي تواجهنا ؛ وما أكثر هذه المسائل !

إن أسلافنا كانوا يتوهمون أنهم قد عرفوا كل شيء منذ الولادة حتى ما بعد الموت ؛ أما نحن فقد أصبحنا لا ندري ماذا يحدث بعد الغد ! ومما لا ريب فيه أن للحرية الفكرية تكاليفها ؛ فإنها ترفع تلك اليد التي تقود زمامنا ، لكي تسلمنا إلى أنفسنا ، وهنا يكون علينا أن نبحث كل شيء من جديد ؛ ولكن لا كما يبحث الأعمى الذي يمسك بيده آخر ، بل كما يبحث المبصر الذي يتحقق من كل شيء بنفسه .

ولن يكون في وسعنا أن نحل المسائل كما كان يحلها أسلافنا لأننا لن نطمئن إلى تلك الحلول السريعة التي تثب إلى المطلوب دون بحث واستقصاء . بل إن حلاً ما ، مهما كان من صحته ودقته لن يكون حلا نهائيا حاسماً ، ما دامت معارفنا في تزايد مستمر وتقدم دائم ...

أما النزعة اليقينية التوكيدية ، فإنها لن تجد موضعاً في العالم الجديد ... وكيف يمكن أن توجد مثل هذه النزعة في عالم يرى أناسه الحقائق كما هي ، لا كما يقول بها مذهب معين أو رأي خاص ؟

إن العالم الجديد هو عالم الفكر الحر ، والبحث النزيه ، والخير العام . فلن يشهد فجر الغد حجراً على التفكير ، أو ميلا إلى الطعن والتشهير ، أو سعياً إلى الخراب والتدمير — وما دامت تلك الأصنام التي طالما تعابد الناس من أجلها ، لا بد أن تندك يوماً ، كما اندكت عروش أصحابها ، فلا بد أن يأتي ذلك اليوم الذي يشرق فيه فجر الحضارة الإنسانية الصحيحة

ومن واجبنا الآن أن نعمل على هدم تلك الأصنام التي تعوق مجيء ذلك اليوم . حقاً إن الإنسانية طالما حرقت البخور لها ، وعفرت الجباه أمامها ، ولكنها قد أخذت تدرك اليوم أن من واجبها أن تهوي بمعولها على تلك الأصنام جميعاً ، فتأتي عليها عن آخرها — وما هذه الأصنام إلا الجهل ، والتعصب الذميم ، والنعرات القومية الفاسدة !

ولن يقوم في العالم سلام ، إلا إذا كان ذلك في أرجاء الأرض قاطبة ، ولن يكون ثمة رخاء ، إن لم يكن ذلك رخاء عاماً ، ولن يشرق فجر العالم الجديد ، إذا لم يعم نوره الشرق والغرب والشمال والجنوب !

فليعلم إذن أولئك الذين يرجون قيام عالم جديد تسود فيه الحرية والطمأنينة والرخاء ، أن عليهم أولا أن يقوضوا تلك الأصنام القديمة ، حتى يقيموا على أنقاضها بنيان العالم الجديد المنشود !

زكريا إبراهيم

من قصص صبحا

٣ - الغريق الناجى

للأستاذ كامل كيلانى

« صفحة مختارة من المخطوط الجحوى النفيس الذى عثرت عليه ، ولعله مكتوب بخط صاحبه « أبى الغصن عبد الله دجين ابن ثابت » الملقب بجحا أو بخط أحد معاصريه » .

« ... منذ مائتين وألف من السنين كان « عبد الله دجين ابن ثابت » يسير خارج المدينة وقد ساد الظلام السكون ، فكاد يحجب الطريق عن العيون ، لولا بصيص ضئيل من ضياء النجوم، كانت ترسله السماء إلى الأرض ، كما يرسل الرجاء نوره إلى ظلمات النفس ، فيكشف من يأسها الحالك ، ويفتح لها طريقا نيراً تسلكه فى ظلمات الحياة .

وساد الصمت وخيم السكون لولا نقيق الضفادع المرحة ، منبعثا من ضفة النهر . وجلس « عبد الله دجين » هادئ النفس مطمئنا ، برغم ما لقيه فى ذلك اليوم من الكوارث والأحداث . ولولا أن بعض ما حل به من المصائب قد أصاب غيره لما وجد العزاء إلى نفسه سبيلا ، ولضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، ودارت به الأرض قائما .

تسألنى ماذا لقى « دجين » من النكبات . فاعلم — حفظك الله ورعاك وسلمك من كل سوء — أن بعض الأشرار قد أحرق بيته . وأن الزمن تنكر له فاستهدفت أسرته للجوع والمرض . ولم يكد أصحابه يرون ما حل به من الملمات حتى هجروه وابتعدوا عنه بعد أن كانوا يتوددون إليه ويلتمسون معونته . وانقبضت أيديهم عنه بعد انبساطها ، فلم تمتد إليه بالمساعدة يد واحد من أصدقائه وأصفيائه الذين كان يدخرهم للنوائب ويستبقيهم للشدائد ولم يكن ينقصه شيء ليكون أتعس خلق الله إنسانا .

ولولا عطف جارته « زبيدة » المحسنة على زوجه وولديه لهلكوا جوعا ، ولكن الله لطف بهم فسخرها لهم لتتعهدهم فى أيام النحس والشقاء .

وقد لقى « دجين » تلك الخطوب والنكبات باسم الثغر وضاح الجبين ، مملوء القلب بنور اليقين . ولعلك تدهش إذا قلت لك إنه كان يشعر فى تلك الليلة بطمأنينة وثقة لا حد لهما .

وكانت الضفادع قد سكتت حين رأته قادما عليها ، فلما استقر به الجلوس على ضفة النهر ، عاودتها الشجاعة ، فأنست به واطمأنت إليه ، وأقبلت عليه وقد استولت عليها البهجة فراحت تقفز فى الفضاء وترفع أصواتها بما تملك من تسبيح الثناء .

وأحس « أبو الغصن » صوت جسم يسقط فى الماء ، وسمع استغاثة خافتة ضعيفة تنبعث فى أثر الصوت طالبة النجدة والغوث .

نخف « دجين » إلى النهر ، واندفع إلى مكان الغريق حتى إذا داناه ، أسرع اليه ، فألقى بنفسه إلى الماء فى غير تردد ولا وجل ، وما زال يسبح جاهدا حتى عثرت يداه بطرف ثوب فأمسك به وجذبه إليه ، وما زال به حتى أنقذ صاحبه من الغرق وحمله إلى الشاطئ .

وما كاد يتأمل وجه ذلك التاعس المشرف على الغرق ، بعد أن كتب الله سلامته على يديه ، حتى أبصر شيخا زرى الهيئة مغمى عليه . وما لبث الشيخ أن أفاق من غشيته فشخص إلى « دجين » بعينين صغيرتين يظللهما حاجبان كثيفان ، ثم قال له بصوت متهدج يكاد يختنق من البكاء :

« شكرا لك يا أخى ، على ما أسديته إلى من صنيع ، لقد خاطرت بحياتك لتنقذ حياتى ولولا ذلك لكان الهلاك نصيبى .

على أننى لا أدرى — على التحقيق — أجميلا صنعت معى أم قبيحا ؟ ولا أعلم اليقين من أمرى : أخيراً صنعت بى أم شراً ؟ »

فقال « دجين » : « أكنت تقصد عامدا إلى إغراق نفسك هذه الليلة ؟ »

فقال الشيخ : « أستغفر الله ! ذلك ما لا يدور ببال عاقل كريم ! لقد زلت قدمى وأنا أمشى على الجسر فهويت إلى النهر ، وحملنى التيار فى ظلام الليل الحالك ، فكنت لولاك من المغرقين »

فقال « دجين » : فما بالك تندم على نجاتك ، ولا تحمد الله على سلامتك ؟ »

فقال الشيخ فى أسلوب حزين يفيض مرارة واكتئابا : الحمد لله على كل حال ! فإن كل ما ينالنا من خير أو شر مقدر

علينا لا حيلة لنا فى دفعه ، ولا سلطان لنا عليه » قال « دجين » « فما يحزنك من الدنيا ؟ »

قال الشيخ : « مثل لنفسك شيخا مثلى ماتت أسرته جميعا : زوجه وأولاده وبناته وإخوته وعشيرته ، وأقاربه الأدنون والأبعدون ، فأصبح فى شيخوخته يعيش بلا أسرة ، ولا يجد فى العالم كله قلبا يهفو إليه أو يعطف عليه ، ولا يظفر بمورد يعيش منه ، وقد حمل من أعباء السنين سبعين . كيف يكون شعور مثل هذا الرجل الفانى إذا هيأت له المصادفة أن يغرق ، ثم كتبت له السلامة مرة أخرى ؟ أتراه يسعد بذلك أم يشقى ؟ وهل يبتهج باسترداد حياته ؟ أم يأسف لخلاصه ونجاته ؟ إن للفتى والشاب — من أمثالك — آمالا كباراً يسعيان إلى تحقيقها والظفر بها فإذا بلغا ما بلغت من السنين وذرف (أى : زاد) على السبعين فأى أمل يبقى لهما فى الحياة ، وأى مطلب يسعيان له ويتمنيانه ؟

فقال « دجين » يناجى نفسه فى صوت خافت : « ما بال هذا الشيخ يستنكر البقاء ويلعن الحياة ! »

وكان سمع الشيخ مرهفاً ، فلم تفلت منه تلك الهمسة ، فقال لدجين قولة الواثق المتثبت مما يقول : « كلا — ياصاحبى — لا تسىء ظنك بى فما أنا بمبغض للبقاء ولا كاره للحياة ! كلا لا أستنكرها كما ظننت ، ولا ألعنها كما توهمت ! بل أنا أحتقر من يفعل ذلك أشد الإحتقار . وقد عشت طول حياتى مؤمنا بالله مستسلما لقضائه وقدره ، مفوضاً أمرى له . يقبض روحى متى اقتضت إرادته ذلك . ولم يمنعنى ذلك عن السعى فى مناكب الأرض فى طلب الرزق . ولكنها تأوه محزون ، وكلمة حمقاء سبقت إلى لسانى فنطق بها فى ساعة يأس ، دون أن يتدبر عقلى مغزاها ، أو يتثبت فكرى من معناها !

ثم أطرق الشيخ ، وكأنه خجل مما فاه به لسانه من كلمات الخور والضعف فطأطأ رأسه برهة . ولكن « دجينا » قطع صمته عليه حين سأله :

« من الرجل ؟ » فقال : « أنا لعلع بن دعدع » وكنيتى « أبو شمشع » . فخبرنى أنت ما بالك منفردا فى مثل هذا الوقت وفى مثل هذه الصحراء الموحشة ؟ وما بالك تؤثر العزلة والانفراد فى ظلام الليل ، كأنما تفر من أبناء جنسك ! ولئن صحت فراستى فما أنت بسعيد فى حياتك قط » . فقال « دجين » : « كلا — ياصاحبى — فإن السعادة لم تفارق نفسى قط ، وما أذكر أننى شعرت بالتعاسة يوما واحدا طول عمرى ، على كثرة ما أصابنى من المحن والمصائب والآلام ؛ فإن الحزن والسرور — فيما أرى — يتعاقبان على الإنسان كما يتعاقب عليه الليل والنهار .

ولو أردنا أن نستديم السرور أو الحزن لعجزنا عن ذلك كما يعجز من يحاول أن يستديم الليل أو النهار . ألا ترى كيف تتعاقب علينا الفصول الأربعة فى أثناء السنة : فتمر بنا صيفا يتلوه خريف ، وشتاء يتلوه ربيع ؟

كذلك يتعاقب علينا الحزن والفرح ، والانقباض والانبساط ، واليأس والرجاء ، والشدة والرخاء ، والعسر واليسر ، والفقر والغنى ، والظلمة والنور ، والمرض والصحة » .

فقال الشيخ : « ما سمعت فى كلامى أحسن من حديثك ، ولا أحكم من رأيك . ولئن صح ظنى ليكونن لك شأن عظيم فى حياتك وبعد مماتك . فمن تكون أيها السيد الكريم ؟ » .

فقال : « أنا عبد الله دجين بن ثابت » ، وكنيتى : أبو الغصن ، ولقبى : جحا » .

فقال لعلع : « وما صناعتك ؟ »

فقال دجين : « كنت بالأمس ، تاجرا كبيرا يشار إليه بالبنان ، ولكن حريقا شب فى بيتى ومخزنى — منذ أيام — أتى على كل ما أملك من أثاث وبضائع ، فلم يبق لى — مما ملكت — كثيرا ولا قليلا . ولقد تداركنا الله بلطفه ورحمته ، فسلم كل من فى الدار : سلمت زوجى وولدى وابنتى . فشكرا لله على لطفه بنا . ولقد كدنا نهلك جوعا لولا جارتنا الكريمة التى مدت إلينا يد المعونة ، وتكفلت بإطعام زوجى وولدى .

أما الجانى الذى أوقد النار فى بيتى ومخزنى فقد فر ، ولم يقف له أحد على أثر :

فقال الشيخ لعلع : « لقد أنستنى مصائبك — ياأبا الغصن — كل ما لقيت فى حياتى من أحداث وآلام . ثم ارتعش جسم الشيخ ، فقال وهو يصرف نابه[1] : « كيف تكون الدنيا

(١) أى يحك ضرسه فيسمع له صوت .

إذا خلت من أهل المساعدة والعون من كرام المحسنين » .

فطن « دجين » أن الشيخ يرتجف مثله ألما ، لالتصاق ثيابهما المبللة بأعضاء جسميهما . وحسبه يستجديه المعونة فقال : « دعنا من حديث الأحزان ، فليس منه فائدة ، وسينقضى وقت الشدة — إذا صبرنا لها — ثم يعقبها وقت الرخاء ، فتنسينا بهجته جميع ما كابدناه من مصائب وآلام ، ومتى صبر الإنسان لجهد نازلة أصابته ، ووطن نفسه على احتمالها وابتسم للكوارث والنكبات غير هياب ولا وجل ، لم تلبث أن تنجلى عنه وينساها كما نسى غيرها من المصائب والآلام . والعاقل هو من يرضى بأحكام القضاء ، فلا يستسلم للضعف ، واثقا أن لكل شدة مدة ثم ينقضى معها ، فإذا صمد لها غلبها وانتصر عليها . ثم صمت قليلا ، واستأنف حديثه قائلا : هلم يا أبا شمشم فانبعنى إلى دارى فإنك واجد فيها — على ضيقها — مكانا تأوى إليه ، وسنحضر لك بعض الحشائش والأعشاب نوقدها لتجفف ثيابك المبتلة .

فأطرق « لعلع » لحظة ، ثم قال لدجين « قبلت ضيافتك ، يا أبا الغصن ، ولعل الله — سبحانه — يوفقنى ذات يوم إلى أداء هذا الدين الجميل إليك » .

فقال « دجين » : « إن فى صنع المعروف لذة يتضاءل أمامها كل جزاء مهما عظم ، وتصغر بالقياس إليها كل مكافأة مهما جلت . وحسبى سرورا أن يمكننى الله من القيام بواجب الضيافة ، دون نظر إلى جزاء أو شكر .

إن خير ما يكافأ به المحسن — ياسيدى — هو شعوره بأنه أدى واجبه ، وفرحه بقدرته على فعل الجميل ، وحسب الطيب مكافأة له أنه طيب . هلم فاعتمد ذراعى واتكىء عليها لتساعدك على السير » .

فقال « لعلع » : « ما أبعد نظرك ، وأحكم رأيك ، وأصدق نيتك ، وأسلم طويتك ! إنى لأتنبأ لك بالفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة . وسيتولى الله — سبحانه — حمايتك ، ويخلد على مر الزمان اسمك وسمعتك ، ويسخر لك الإنس والجن لمعاونتك وخدمتك ، ويجعلهم طوع مشيئتك ، ورهن إشارتك » .

ثم مشى كلاهما فى ضوء النجوم المتألقة فى السماء ، يلفهما ظلام الليل ، ويؤنسهما نقيق الضفادع ، ويحوطهما الله برعايته ، ويكلؤهما بعنايته .

كامل كيلانى

الحكاية الأزلية

للأستاذ إيليا أبو ماضى

[أخرج الأستاذ مجدة فتحى صفوة مدرس اللغة العربية بكلية بغداد ، الحلقة الأولى من سلسلة الشعراء المعاصرين التى اعتزم صياغتها ، وهى كتاب لطيف الحجم فى (إيليا أبو ماضى والحركة الأدبية فى المهجر) ألم فيه إلمامة بليغة حسنة بأدب إخواننا العرب المهاجرين إلى أمريكا ، ونوه بمزاياه وخصائصه ، ثم دل على مكانة أبى ماضى منه ، وذكر طرفاً من حياة الشاعر وطرفاً من أدبه فى أسلوب بليغ وعرض مشوق . وقد ختمه بهذه القصيدة الجديدة لأبى ماضى ، كما افتتحه بمقدمة نفيسة للأستاذ رفائيل بطى عميد الصحافة العراقية فى وجوب العناية بتراجم المعاصرين وتسجيل أخبارهم وآثارهم . والكتاب والمقدمة من خير النماذج لأدب العراق الحديث] .

نوطئة

كان زمان ، لم يزل كائنا وحالة ، ما برحت باقيه
مل بنو الإنسان أطوارهم وبرموا بالسقم والعافيه
فاستصرخوا خالقهم واشتهوا لو أنه كونهم ثانيه
وبلغت أصواتهم عرشه فى ليلة مقمرة صافيه
فقال : إنى فاعل ما اشتهوا لعل فيه حكمة خافيه
وشاهدوه هابطاً من عل فاحتشدوا فى السهل والرابيه
من القرى الكئيبة العارية والمدن الضاحكة الزاهيه
تألبوا من كل صوب كما تجتمع الأمطار فى الساقيه
يسابق الصعلوك رب الغنى والأبله الباقعة الداهيه
ويدفع الشيخ الشوق عوده وصار مثل الرمة الباليه
فتى مضى الفجر ولما تزل روعته فى وجهه باقيه
وتزحم الحسناء ممكورة خلابة كالروضة الحاليه
دميمة تشبه فى قبحها مدينة مهجورة عافيه
فقال رب العرش : ماخطبكم ، ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟
هل أصبحت أرضكم عاقرا أم غارت الأنجم فى هاويه ؟
أم أقلع الماء فلا جدول وماتت الطير فلا شاديه ؟
أم فقدت أعينكم نورها أم غشيت أرواحكم غاشيه ؟
أين الهوى ، إن لم يكن قد قضى فكل جرح واجد آسيه

الفتى

قال الفتى : يا رب إن الصبا — مصـــــدر أحزانى وآلامى
ألبستنيه موثقاً بعـــد ما — أبلاه أخوالى وأعمـــامى
وصـــار فى مذهبهم عصره — فترة زلات وآثام
فاختلفت حالى وحالاتهم — كأنني فى غير أقوامى
وصرت كالجدول فى فدفد — أو شاعر ما بين أصنام
والأخضر المورق فى يابس — أو مثل صاح بين نوام
دنياهم دنياى ... لكنما — أعلامهم ليست كأعلامى
عندهم الروضة أشـــجارها — والروض عندى الزهر النامى
والطير لحم ودم عندهم — وليس عندى غير أنغـــام
سكرى بها أو بالندى والشذى — وسكرهم بالخمر فى الجام
يسخر قلبى بلياليهم — ويسخر الدهر بأيامى
كأنني جئت لتبكيتهم — كأنمـــا جاءوا لإيلامى
عبء على نفسى هـذا الصبا — الجائش المستوفز الطامى
يزرع حولى زهرات المنى — وشـــوكها فى قلبى الدامى
فان ... له فى كل فان هوى — فان ... ولا ينجو من الذام
خذه ... وخذ قلبى وأحلامه — فإننى أشـــقى بأحلامى
ومر يمر الدهر فى لحظة — كالطيف ... أو كالبرق قدامى
وازرع نجوم الشيب فى لمتى — فينجلى حندس أوهامى
وأبصر الحكمة فى ضوئها — إنى إليهـــا جائع ظامى

الشيخ

وجاء شـــيخ حائر واجف — مشتعل اللمة بالى الإهاب
كأنمـــا زلزلة تحته — لما به من رعشة واضطراب
فصاح : يا رباه خذ حكمتى — واردد على عبدك عصر الشباب
إن أمانى الروح أزهارها — وإن روحى اليوم قفر يباب
لا جدول لا بلبـــل منشد — بلى . بها الوحشة والاكتئاب
تلك الأمانىُّ ... على كذبها — لم تكن اللذة فيها كذاب
زالت وما زلت ... وإن الشقا — أن تطمس الآى ويبقى الكتاب
وتسلب السرحة أوراقها — ولم تزل أعراقها فى التراب
قيل لها فى البحر كل المنى — فلم تجد فى البحر إلا الضباب
كنت غنياً فى زمان الصبا — وكنت صفر الكف صفر الوطاب
صحوت من جهلى فأبصرتنى — كأننى ســـفينة فى العباب
نأت عن الشط ولم تقترب — شبراً من السر الذى فى الحجاب
ولو ترجى أوبة لاشـــتفت — لكنما عز عليها الإياب
مر تقف الأيام عن سيرها — فإنها تركض مثل السحاب
وضع أمامى لا ورائى المنى — وطول الدرب وزد فى الصعاب
ما لذتى بالمـــاء أروى به — بل لذتى فى العدْو خلف السراب

الحسناء

وقالت الحسناء : يا خالق — وهبتنى الحسن فأشقيتنى
وجهى سنى مشرق إنمـــا — مرعى عيون الخلق وجهى السنى
حظى منـه حظ ورد الربى — من عطره الفواح والسوسن
ومثل حظ السرو من فيئه — والطير من تغريدها المتقن
ومثل حظ النجم من نوره — فى الحندس المتكر الأدجن
للقائل الفيء ... وللسامع — التغريد ... والزهرة للمجتنى
والنـــور للمدلج والمجتلى — والدر للغائص والمجتنى
كم ريبة دبت إلى مضجعى — مع الجمال الرائع الممكن
إن عشقت نفسى فويل لهـا — والويل لى إن زجل حبنى
السم والشوك وجمر الغضا — أهون من كاشحة الألسن
كم تقتفينى نظرات الخنا — ويلىَ من خائنة الأعين
لم يبق فى روحى من موضع — يا رب لم يخدش ولم يطعن
إن الغنى فى الوجه لى آفة — فليت أنى دميـــة ليتنى

الجارية

وسكتت ... فصاحت الجاريه — باكية من بؤسها شاكيه :
ذنبى إلى هذا الورى خلقتى — فهـل أنا المجرمة الجانيه ؟
إن أخطأ الخزاف فى جبله الـ — طين ، فأى الذنب للآنيه ؟
أليس من يسخر بى يزدرى — بالقوة الموجدة البـاريه ؟
لو كنت حسناء بلغت العلى — فللجمال الرتبة العـــاليه
وبات من أسجد قدامه — صاغرة يســـجد قداميه
فإننى فى ملأ ظالم — أحكامه جائرة قاسيه
ليس لذات القبح من غافر — وفيه من يغفر للزانيه ...

نفسى جزء منك يا خالق ... وإنهـــا عاقلة راقيه
أليس ظلماً وهى بنت العلى ... إن تك بالقبح إذن كاسيه ؟
فليكن الحسن رداء لها ... ترفل به أو فلتكن عاريه

الصعلوك

وأقبل الصعلوك مسترحما ... فى مقلتيه شبح اليأس
يصرخ يا رباه حتى متى ... تحكم الموسر فى نفسى
وتضع التاج على رأسه ... وتضع الشوك على مرأسى
ويشرب اللذات من كأسه ... وأجرع الغصات — من كأسى
وتنجلى النجوم فى ليله ... ضاحكة كالغيد فى عرس
ويتوارى فى نهارى السنا ... أو يتبدى خانق الشمس
يا رب لا تنقله عن أنسه ... ولكن انقلنى إلى الأنس
فإن تشأ ألا يذوق الهنا ... قلبى فجردنى من الحس
لو لم يكن غيرى فى غبطة ... ما شعرت روحى بالبؤس

الغنى

وقال ذو الثروة : ما أشتهى ... لا أشتهى أنى ذو ثروة
أنفقت أيامى على جمعها ... وخلتنى أدركت أمنيتى
فاستعبدتنى فى زمان الصبا ... وأوقرت بالهم شيخوختى
قد ملكتنى قبلما حزتها ... وملكتنى وهى فى حوزتى
كنحلة أمسكها شهدها ... من الجناحين فلم تفلت
حسبتها تكسبنى قوة ... فافترست قوتها قوتى
جنت على نفسى وأحلامها ... جناية الشـــوك على الوردة
ينمو فتـــذرى فهى عليقة ... يحذرها الطائف بالروضة
من قائل عنى لمن خالنى ... أمرح من دنياى فى جنة
لا تنظر الأضواء فى حجرتى ... وانظر إلى الظلماء فى مهجتى
ولا يغرنك قصرى فما ... قصرى سوى سجن لحريتى
إنى فى الصرح الرفيع الذرى ... كطائر — فى قفص — ميت
كم فى عباب البحر من سابح ... قد مات ظمآن إلى قطرة
موت الطوى شر ولكنما ... أفظع منه الموت بالتخمة
إن سهر العاشق من لوعة ... أو سهر المحزون من كربة
فالشوق كالحزن له آخر ... وينقضى فى آخر المدة
أما أنا فقلقى دائم ... ما دمت فى مالى وفى فضتى
والخوف من كارثة لم تقع ... أمض من كارثة حلت
كم من فقير مر بى ضاحكا ... كأنمـــا يسخر من غصتى
رأيته بالأمس من كوتى ... فخلتنى أنظر من هـــوة
وكنت كالحوت رأى موجة ... ضاحكة ترقـــص كالطفلة
أو حيـــة تدب فى منجم ... ترنو إلى فراشـــة حرة
قد اختفت ذاتى فى بردتى ... فما يرى الخلق سوى بردتى
فهم إذا ما سلموا سلموا ... على خيـــوط البرد والجبة
رباه أطلق من عقال الغنى ... روحى فإنى منه فى محنتى
وانزع مع الدينار من قبضتى ... صلابة الدينار من سحنتى
وحول المـــال إلى راحة ... وحـــول القصر إلى خيمة

الأبله

وصرخ الأبـــله مستفسراً ... ما القصد من خلق كذا والمراد؟
ألم يكن يكمل هـــذا الورى ... إلا إذا أوجدتنى فى فساد ؟
لى صورة النـــاس وحاجاتهم ... من مطعم أو مشرب أو رقاد
لكن لبى غـــير ألبابهم ... فإنه مكتنف بالســـواد
يعجزنى إدراك ما أدركوا ... كأن عقلى فحمة أو رماد
إن كنت إنساناً فلم يا ترى ... لست بإدراكى كباقى العباد ؟
أو لم أكن منهم فمرنى أكن ... جرادة أو أرنبا أو جواد ،
فالنبد لا يعـــدم من نده ... ذريعـــة للسلم أو للجهاد
لا تسخر النملة من نملة ... وليس يزرى بالقراد القراد
أم أنت كالعقل على رغمـــه ... ينمو مع الحنطة فيـــه القتاد

النابغة

وجاء بعـــد الأبله المستريب ... الألمـــعى العبقرى اللبيب
فقـــال : إنى تائه حائر ... أنا غريب فى مكان غريب
أبحث عن نفسى فلا أهتدى ... وليس يهدينى إليها أريب
أنا علـــيم حيث لا عالم ... أنا لبيب عنـــد غير اللبيب
لو أننى كنت بلا فطنـــة ... سرت ولم تكثر أمامى الدروب
وكان عقلى كعقول الورى ... وكان قلبى مثـــل باقى القلوب
وصار عندى كالنجوم الورى ... فلا عـــدو فيهم أو حبيب
ولم أجد فى ضحكهم والبكا
شيئاً ســـوى الضحك وغير النحيب



رأى عظيم فى (دفاع عن البلاغة) :

[أرسل إلينا حجة الفقهاء وعمدة القضاة الأستاذ عبد العزيز فهمى باشا رأيه فى (دفاع عن البلاغة) ننجله شاكرين فى (الرسالة) إجلالا لتنويهه واعتزازاً بتوجيهه] :

تفضلت فأهديت إلىّ كتابك القيم (دفاع عن البلاغة) فقرأت نصفه فى مجلس واحد ، ثم قرأت نصفه الآخر فى صباح اليوم التالى ، وخرجت من قراءة هذا الكتاب الممتع بأن دراسته لا تصلح للمبتدئين ولا لأنصاف المتعلمين ، لأنه مقارنة قوية لبلاغة العربية ببلاغات اليونانية واللاتينية والفرنسية وغيرها ؛ ودراسة هذه المقارنة إنما تصلح للمتخصصين فى علوم العربية ، ويسرنى أن أسمع يوماً أن إدارتى جامعتينا قد قررتا تدريس هذا الكتاب لطلاب التخصص فى اللغة العربية ؛ فإنهم بالمقارنة بين ما قاله علماؤنا وبين ما قاله العلماء الأجانب قديماً وحديثاً يستطيعون أن يحددوا مركز علمائنا السامى بين رجال البلاغة فى كل بلد ، وأنت سيد العارفين بأن هذه المقارنة تفتق الأذهان وتوسع الآفاق ؛ وهى خطوة لابد منها لشرقنا حتى يستطيع الناقص أن يتم ، والتام أن يكمل ، والكامل أن يكون على بينة من كماله .

وكتابك هذا باكورة خير ظهر معها كتاب آخر أطلعنى بعضهم عليه وهو كتاب (التصوير الفنى فى القرآن) للأستاذ سيد قطب الذى ينم عن تحرر فى العقل لم يتفق أن سمعنا بمثله من قبل . وكتابك وكتابه كوكبان يضيئان الأفق لمن يتلهف مثلى على الرؤية فى وضح النهار .

عبد العزيز فهمى

التاريخ القومى فى المدرسة الابتدائية

وزعت وزارة المعارف جدول الدراسة فى المدارس الابتدائية هذا العام على أساس ست وثلاثين حصة بدلا من تسع وثلاثين .

ولا يعنينا أمر هذا العدد فى ذاته ، ولكن الذى يعنينا أمره كثيراً هو أن الوزارة قد حذفت — فيما حذفت — حصة التاريخ الوحيدة التى كان يتلقاها تلاميذ السنة الثانية فى كل أسبوع .

وقد كان موضوع هذه الحصة قصصاً عن حياة قدماء المصريين وبعض الفراعنة المشهورين مثل بناة الأهرام وامنحتب وحتشبسوت ... الخ .

وكانت هذه القصص على ضآلتها وتفككها هى الخيط الوحيد الذى يربط التلاميذ بتاريخهم القومى العظيم ، والصورة الوحيدة التى تعرض عليهم من عصر كان أزهى العصور فى تاريخ العالم كله يوماً من الأيام .

فاليوم تريد وزارة المعارف أن تقطع هذا الخيط الضئيل وتطمس تلك الصورة الباهتة : وكان واجبها يقتضى أن تقوى كل ما يربط التلميذ بقوميته وأن تؤكده توكيداً وتلح على التلاميذ فى استيعابه بأن تخلق له الفرص خلقاً فى كل درس وفى كل مناسبة ؛ لا أن تلغى الفرصة الوحيدة التى كانت متاحة للتلاميذ .

وقد كان للوزارة مندوحة عن إلغاء هذه الحصة فلديها وفر من حصص اللغة الانجليزية التى ألغتها مشكورة لتوفر على التلاميذ الجهد وتتيح لهم الفرصة ليتعرفوا على لغتهم القومية وكيانهم القوى !

أسائل كوكباً طالعاً   لماذا تبدو ، ولماذا تغيب ؟
ولم أقف فى الروض عند الضحى   يذهلنى لون وشكل وطيب
ولم أقل ما كنت من قبلما
كنت ، ولا رمنا فى سجل الغيوب ،
ما العقل يا رب سوى محنة   لولاه لم تكتب على الذنوب

الخاتمة

لما وعى الله شكايا الورى   قال لهم : كونوا كما تشتهون
فاستبشر الشيخ وسر الفتى   والكاعب الحسناء والحيزبون
لكنهم لما اضمحل الدجى   لم يجدوا غير الذى كانا
هم حددوا القبح فكان الجمال   وعرفوا الخير فكانا الطلاح
وليس من نقص ولا من كمال   فالشوك فى التحقيق مثل الأقاح
وذرة الرمل ككل الجبال   وكالذى عز الذى هانا

إيليا أبو ماضى

أجل ! ما كان أجدر رجال التعليم أن يستغلوا بعض هذه الحصص الزائدة في تقوية الروابط التي تربط التلاميذ بوطنهم وقوميتهم وتنمية البذرة التي تنشئ في المستقبل جيلا معتزا بوطنه حريصاً على وجوده .

وبدل أن تحول اثنتان من هذه الحصص الزائدة إلى «قصص» عام لا هدف له ؛ كان الأولى أن تكون هاتان الحصتان أو إحداهما على الأقل قصصاً قومياً يهدف إلى غاية وطنية نبيلة . وخاصة حين نعلم أن الوزارة تنوي — في النظام الجديد — أن تجعل السنة الثانية الابتدائية نهاية لمرحلة تعليمية . فلا يجوز أن تنتهي تلك المرحلة دون أن يعرف التلميذ فيها شيئاً عن أحد المقومات الضرورية لشخصيته .

ولا أحسب أن حذف هذه الحصة أمر مقصود لذاته وإنما هي ضربة من ضربات « المقص » جاءت على غير هدى !

ولكني أرجو وزارة المعارف أن توازن جداولها على حساب أي شيء إلا الكيان القومي للتلاميذ .

محمد قطب

بين الأستاذين قطب وخلاف :

نشرت مجلة « الرسالة » الغراء في أعدادها السابقة مناقشات علمية طيبة في موضوع على جانب كبير من الخطورة والإجلال ، هو موضوع إعجاز القرآن بين الأستاذين الفاضلين خلاف وقطب — وكنت متتبعاً باهتمام بالغ ما كتب الأستاذان ، غير أني لحظت أموراً فيما كتبا . ذلك أن كلا منهما قرر حقاً لا مراء فيه سوف أنبه إليه والعجب أن كليهما أخذ على صاحبه ذلك الحق وماري فيه ، دون مبرر لذلك إلا شدة الحرص على الرأي الفردي من غير نظر أو اعتبار لرأي الآخر ؛ وهذا إسراف منهما .

١ — الأستاذ سيد قطب يقرر في كتابه أن «التصوير الفني» جانب كبير اعتمد عليه القرآن الكريم فيما ساق من وجوه الاستدلال في بيان أن ديكتاتورية الأولين من الشعوب الغابرة — لم يكن نصيبها إلا الانهيار ، فهذا القصص البارع في معرض العظة والاعتبار بمن غبر من الأمم ، وهذا الحوار التمثيلي الذي دار بين الخضر وموسى في سورة الكهف ، والذي ساقه الله بين موسى وفرعون في سورة الشعراء ؛ كل أولئك تصوير فني بارع معجز لأمراء البيان في جميع العصور الغابرة « ماضية أو آتية » ؛ وإذن فهذا وجه آخر من وجوه إعجاز القرآن دون ريب ، يضاف هذا الوجه الذي زاده الأستاذ سيد إلى وجوه الإعجاز الأخرى التي دونها العلماء — وهذا سداد في الرأي وتوفيق نهنئه عليه .

أنكر الأستاذ خلاف أن يكون التصوير الفني وجهاً غالباً من وجوه الإعجاز — واحتج لذلك بقوله لأنه « أي الربط بين التصوير وسر الإعجاز » يفسر إعجاز القرآن بأمور في مستوى الصنعة البشرية » . فالتصوير الفني في نظر الأستاذ خلاف سبيل مألوفة للأدباء من البشر ، وأسلوب من أساليبهم من الممكن أن يسلكوه وهنا كما يقول الأستاذ الخطر كل الخطر ، ثم راح الأستاذ خلاف يؤيد إنكاره بكلمة للأستاذ العقاد رداً على الأديب الفذ المرحوم الرافعي قال « وإنما الأساس فيها المعجزة ، والحكمة الأولى أنها تخرق النواميس المعروفة »

والأستاذ خلاف في هذا الإنكار مسرف ، مجانب للحق والصواب — فليس ثمت خطورة كما يقول بل الأمر الذي أدرك منه خطورة ، وهو كون التصوير الفني طريقاً مألوفة للبشر — ولفصحاء العرب وأبنائهم أن يستخدموه في مستوى رفيع فيه الوحدة والتناظر » أقول هذا الأمر الذي خشيه هو الشرط الأساسي في الإعجاز — وذلك أن القرآن نفسه جاء من جنس كلام العرب ، ومن لغتهم وعلى طرق من القول صرفها لهم ، وطائفة من الأمثال ضربها فيهم ؛ ومن المقطوع به ألبتة أنهم كانوا يعلمون هذه الطرائق التي سار فيها القرآن لغة ومعنى وأسلوباً وخيالا ولو من طريق الإجمال — أو قل على حد تعبير المناطقة إنهم كانوا يعلمون هذا بالقوة ، ولكنهم لا يعلمون ، هذا بالفعل ، ولعل هذا ما جعل النظام يرى أن العرب أو الناس صرفوا عن الأتيان بمثله ومن هذا يبين ويضح أن القرآن في إعجازه البشر وتحديه سلك طرائق مألوفة معهودة لهم . وهذا ضروري حتى يكون التحدي ، وحتى يكون الإعجاز ، إذ لا معنى في أن أتحداك أو أعجزك في لغة أو شيء ما لا تعرفه ، بل يجب أن يكون موضوع التحدي والإعجاز مألوفاً معروفاً لك حتى يتم معنى الإعجاز والتحدي ؛ وإذن فلا ضير ولا خطر أن يكون التصوير الفني في مستوى الصنعة البشرية ثم

هو بعد وجه من وجوه الإعجاز على هذا النحو المبتدع الذى نحاه القرآن — بل هو غاية فى الإعجاز وحماداه .

أقول وإذا كان التحدى من طريق ممكنة معهودة للمخاطبين كان أدخل ، وأمس ، وأبلغ فى باب الإعجاز .

وإذا كانت المعجزة يجب أن تخرق النواميس الطبيعية ، وأن تشذ عن السنن المطردة فى حوادث الكون كما يذكر الأستاذ المقاد — فهذا المعنى موجود ملحوظ فى الأمور التى يتحدى للاعجاز كهذا الذى نحن بسبيله — فالشذوذ هنا والخرق لناموس الطبيعة أنهم عجزوا من حيث لا ينبغى أن يعجزوا .

٢ — يرى القارى الفاضل مما تقدم أننى انتصرت للأستاذ قطب — وأعود الآن فأنتصر للأستاذ خلاف فى البيان الذى سلكه فى الآيات الكريمة : « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ... الخ آيات سورة الأنبياء التى جاءت فى هذا المعرض فإن الأستاذ الفاضل نهج فى تحليلها نهجاً لم يسبقه إليه أحد من المفسرين . ذلك أنه حلل الآيات إلى مقاطع وجمل محدودة — كل مقطع فيه استدلال خاص — قد استوفت فيه الآيات أنواع الاستدلالات المنطقية والوجدانية — ولم تترك مؤثراً يؤثر فى الفعل والعاطفة إلا تناولته ، لو كان هؤلاء يعقلون . ومن الأسراف والشطط ألا يقر الأستاذ قطب هذا التفسير العلمى الحديث ، فما لا ريب فيه أن القرآن تسلك فى طرائق الاستدلال صوراً من المنطق فطرية سهلة تتناسب والعقلية العربية يومئذ .

(الاسكندرية) أحمد الروصابلي
مدرس بالليسيه فرانسيه

اليهود والعرب :

تطالعنا الصحف كل يوم بما يقوم به اليهود من أعمال العنف لجعل فلسطين وطناً قومياً لهم ، وقد وصلوا فى ذلك إلى حد لا يقره تاريخهم الذليل ، ولعل من أعجب ما قرأت فى هذا الشأن ما نشرته بعض الصحف من أن عدداً كبيراً من اليهود اجتمعوا فى جنوب إيطاليا ، وهم مصممون على دخول فلسطين

وقد لفتت هذه الجملة الأخيرة نظرى ، ورجعت بفكرى إلى عهد بعيد يوم ضاعت جهود النبى الكريم موسى بن عمران سدى فى حمل بنى إسرائيل على دخول الأرض المقدسة

ذكرت ما قصه علينا القرآن الكريم فى هذا الشأن ، وما سجله عليهم من الخزى والضعف والجبن ، وكيف أنهم خافوا من سكانها الجبابرة وقطعوا على أنفسهم عهداً مؤكداً أنهم لن يدخلوها ما داموا فيها : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ، يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا : يا موسى ، إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها ، فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما : ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ؛ قالوا : يا موسى ، إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون » . وكتب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله

ثم ذكرت مواقف البطولة التى وقفها أجدادنا العرب مع النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، فآزروه ونصروه وما وهنوا فى موقف من المواقف وما ضعفوا وما استكانوا ، وكيف أنهم وهبوا لدعوته أنفسهم فكانوا يقولون له : والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ؛ ولا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون . ولكنا نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إننا معكما مقاتلون !

ذكرت هذا وذكرت ذاك ، فأيقنت أن الفوز للعرب ، وأن اليهود سيجبنون كما جبن آباؤهم من قبلهم ، فإن دماء الآباء لا تزال تجرى فى عروق الأبناء ... !

علي محمد حسن
مدرس بالمعهد الأزهري

حول شعر حافظ الضائع

قرأت بالعدد الماضى كلمة الأديب عبد القادر محمود عن شعر حافظ الضائع ، التى أثبتها فى الرسالة صوناً لها من الضياع ، ولكن هذه الأبيات السبعة ، نشرها الأستاذ حسين المهدى الغنام ضمن مقالات له عن حافظ إبراهيم ، فى جريدة كوكب الشرق ، وهذه الأبيات بالذات نشرت فى أحد أعداد شهر يونيو سنة ١٩٣٣ ، مع قصيدة أخرى طويلة من نفس البحر والروى .

الكتب

١ – خان الخليلي

[للأستاذ نجيب محفوظ]

٢ – سعد بن أبي وقاص

[للأستاذ عبد الحميد جودة السحار]

للأستاذ وديع فلسطين

— ١ —

الأستاذ نجيب محفوظ — كما يعرفه قراء « الرسالة » الزاهرة — شاب أوتي خيالا خصباً ، وعيناً نافذة ، وقلماً طيعاً ، ومداداً وفيراً ، فسخر هذه جميعاً في كتابة القصة وتصوير الحياة الواقعية بما تنطوي عليه من نزعات متضاربات .

ومن أحدث ما جاد به قلم الفتى كتاب « خان الخليلي » الذي أصابه فيه توفيق كبير . وقد نهج في كتابة قصته الضافية الذيول النهج الذي التزمه الكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في « ابراهيم الكاتب » . فالكتاب مقسم إلى خمسين فصلا ، كل منها صورة أحسن رسمها ، فارتسم في إحداها خفقة قلب أو طرفة عين أو حركة لسان أو بسمة شفتين أو زفرة نفس ، لأن الأستاذ محفوظ سكب نفسه في كتابة كل منها سكباً ، وعاش في روايته فعرف شخوصها معرفة قرب ، وزامل أفرادها ففهم كلا منهم على حقيقته وأدرك ما انطوت عليه نفسه وما أسفرت عنه مظاهره . وربط بين فصولها بإحكام حتى لا ينفلت أحدها من القلادة المتعددة الحلقات التي وصلت بينها وأخرجت من مجموعها صورة نابضة بالحياة تنطق صريحة سافرة بأحوال حي من أحياء القاهرة القديمة يتردد عليه الأجانب للمتعة والمصريون للتبرك « بالحسين » .

والقصيدة الثانية ، والأبيات السبعة التي ذكرها الأديب عبد القادر ، موجودتان كذلك في كتاب الأستاذ الغنام عن حافظ إبراهيم في الصفحات ٥٥ — ٥٧ . وهذا الكتاب صدر بالاسكندرية سنة ١٩٣٥ .

فهذه الأبيات وإن لم تجمع في ديوان حافظ ، لم تضع . وقد نشر الأستاذ حسين غنام في كتابه كثيراً من شعر حافظ لا تجده في جزءي ديوانه .

عوض الله فوزي اسكندر

من السيدة وداد سكاكيني إلى الأستاذ وديع فلسطين :

حضرة الأديب الفاضل :

بعد التحية . تلقيت « مسرحيتك »(١) القيمة بسرور وإعجاب ، وقرأتها متملية بدقة تعبيرك وبراعة ترجمتك ، وقلت : هذا أول قطرك فكيف بغيثك ؟

أرجو أن يكون لك في دنيا الأدب منزلة تليق بنبوغك ، فإن فتى يبني أدبه كما تبني خليق بالمجد والإكبار .

وتقبل تهنئتي الخالصة بباكورة آثارك مقرونة بتحقيق وشكري وإعجابي

المخلصة

وداد سكاكيني

تصويب :

إني برغم جزعي من (التطبيع) . ورجائي كلما بعثت بمقالة مقابلتها على الأصل ، حتى كاد ذلك الرجاء يكون روسماً (كليشيه) دائماً ، فقد وقع في مقالتي (الموسيقي العاشق) في العدد (٦٣٩) من الرسالة ، هنات ، هذا تصويبها ، وإن تكن هينات :

ص	ع	س	خطأ	صواب
٥٧	١	٣	رحبته	رحبة
٥٨	١	١	٥	تعلم	تعليم
«	١	١٩	أهدابها — لونها	أهدابهما — لونهما
١٠٥٩	١	١٢	لا أحب الذكرى	لا أحب أن أهيج الذكرى
«	٢	١	غبتّ	غبتُ

أما الذين ذهبوا يسألون عن (ش) بك هذا ، ويفتشون عن داره … هل حسبوني أكتب تاريخاً ؟ إنما هي قصة …

علي الطنطاوي

---

(١) مسرحية الأب تأليف الكاتب السويدي أوجست سترندبرج وترجمة وديع فلسطين — لجنة النشر للجامعيين .

إنها قصة عائلة مصرية متوسطة ، نزعت من الغارات الجوية فانتقلت إلى حى خان الخليلى وأمضت فيه دورة كاملة من دورات الأرض حول الشمس ، شهد أفرادها فيها عجباً . فالابن الكبير — أحمد عاكف — الذى كان يركن إلى مكتبته يقلب كتبها ويدرب نفسه عبثاً على درسها وهضمها ؛ طابت له عشرة أهل الحى والسهر معهم فى قهوة الزهرة ، وخفق قلبه للحب وهو بعد كهل فى الأربعين ، ولكن المقادير شاءت ألا ينعم بالفتاة التى يهوى والأليف الذى استحوذ على عواطفه وملك جنانه . ورشدى — الابن الأصغر — شاب حديث انتهد بالتخرج فى الجامعة ينقاد وراء دوافع بدنه فيقترف من اللذاذات غير عابىء بصحته التى ناءت بهذا الحمل وأخذت تتهالك تحت الضغط الشديد الذى يفرضه عليها . ولم يكتف بالحب الآثم ، بل سولت له نفسه الفتية أن يسطو على الفتاة التى كادت تصبح من نصيب أخيه أحمد ، ولكنه ظل سادراً فى غيه ، سائراً فى طرق ضلاله ، فأصيب بداء الدرن الرئوى وقضى نحبه — وهو الشاب المرح المفعم بالنشاط الدائب الحركة — ولم يستطع أبواه أو أخوه ، ولم يفلح الطب أن يحفظ زهرة حياته التى ما شرعت تتفتح حتى قطفت من كمها وطمرت بين أطباق الثرى .

والقصة التى دبجها الأستاذ نجيب محفوظ تمتاز بمزيتين عدا مزية الرواية نفسها . ففيها وصف رائع لليالى رمضان فى حى خان الخليلى ، وفيها وصف للغارات الجوية التى تعرضت لها قاهرة المعز من ثلاثة أعوام ، وهى حقبة من الزمن لم يسبق لها مثيل فى تاريخ مصر الغابر ، وعسى أن لا تتكرر فى ما يجىء من السنين . والمؤلف قدير على جلو المعانى ، خبير بخوالج النفس ، استطاع أن يجعل من كتابه تزاوجاً بين السخرية والتهكم من ناحية ، والجد من ناحية أخرى . وجمع بين اللهو والمزاح والعبرة والدروس . وهو فى هذا وذاك لا يخلو من فكاهة مستملحة ودعابة طريفة .

إنها الحياة فى « خان الخليلى » كما هى بلا « رتوش » .

— ٣ —

أصدر الأستاذ عبد الحميد جودة السحار كتاباً مُترع الفصول عن « سعد بن أبى وقاص وأبطال القادسية » تتبع فيه سعداً منذ ما كان حدثاً يبرى النبل حتى انطلقت روحه إلى بارئها وقد أشرف على الثمانين أو نحوها .

سيرة رجل كفاح ورجل حرب ، قاد جيوش المسلمين فى معارك طاحنة فدس الأعداء ، ودخل إيوان كسرى دخول المظفر المنتصر بعد ما هزم مملكة الفرس وأنزل بها أقسى الدمار . واستطاع سعد أن يتصدى لجيوش قوية بعضها معزز بعدد من الفيلة الضخمة ، وبعضها يتقدمه الأسود الضاريات ، غير أنه ما تهيب ولا جزع ، بل هجم عليها وبددها ، فسرت روح الهزيمة والهلع بين جنود العدو وردوا على أعقابهم مخذولين .

وسعد علاوة على ذلك ابن بار بوالدته مخلص لدينه الجديد . وعلى الرغم من أن أمه لم ترض له الخروج على دين آبائه وأجداده وهددته بالصوم عن الطعام إذا أوغل فى « غيه » وتبع الدين الجديد ، إلا أنه استطاع بلباقة وحصافة أن ينتزع من بين حنايا أمه غضبها ، ويوفق بين شئون الدين والدنيا .

ثم هو صديق صدوق ، لطيف المعشر ، يوثق به ويعتمد عليه . شجاع لا يهاب القوة ، ولا يخشى الضيم ، سبّاق إلى المكرمات ، عدّاء فى ميادين البطولة ، لا تلين له قناة ولا يفتر له عزم أو يصدُّ عن قرار اتخذه . وفىّ لخلانه وصحبه حتى إنه نهر معاوية لأنه شرع يسب علياً ، وأقسم يميناً مغلظة ألا يدخل داره مدى الحياة .

هذه الشخصية الفذة التى شهدت مولد الإسلام وعاصرت فتوته وأرست دعائمه وساهمت فى نشر رسالته فى بلدان شتى ، وهذا البطل المقدام الذى رضى طوعاً بالجهاد والنضال والصراع والتشريد والتجريح والتعرض للأخطار ، وهذا المؤمن الذى لم يدخر وسعاً فى البدن أو المال أو الوقت إلا أوقفه على خدمة دينه ، جدير ولا ريب بأن تسرد سيرته مفصلة ، وتنشر فى أسلوب عربى بليغ وإحكام روائى صادق ، وتبويب زمنى مرتب ، على أحفاد العرب الأولين .

وقد بلغ الأستاذ عبد الحميد السحار القمة فى تبيان مناحى شخصيته الفريدة ووصف ميادين الوغى وأساليب القتال ومصارع الرجال . وفى ختام كتابه أورد السحار خلاصة وافية لحياة سعد ابن أبى وقاص عرضت فى ذهن الشيخ سعد كما يعرض الشريط السينمىّ على الشاشة البيضاء ، فأغمض عينيه وقد اكتحلتا بنشوة الماضى وذكريات الشباب وأحداث الصبى ومجد الظفر « وانبهرت أنفاسه وخرج نفس ما عاد غيره ، فقضى سعد نحبه فى قصره بالعقيق على مسيرة عشرة أميال من المدينة . ولما بلغ أهل المدينة خبر موته ، انطلق الرجال إلى داره وجهزوه ... وتوجهوا إلى البقيع ليقبروا آخر أهل الشورى ودمعهم جار وحزنهم عميق » .

وديع فلسطين